إبداعات عالمية

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

340

سلسلة
مسرحية قصصية

• أناتول وجنون العظمة

تأليف: أرتور شنيتسلر
ترجمة: د. محمد إبراهيم الأتاسي
مراجعة: د. محسن الدمرادش

مكتبة
t.me/soramnqraa

سلسلة شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

فبراير 2003

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

مكتبة
t.me/soramnqraa

• أناتول وجنون العظمة

سلسلة مسرحية قصصية

تأليف: أرتور شنيتسلر
ترجمة : د. محمد إبراهيم الأتاسي
مراجعة: د. محسن الدمرادش

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:
أ. بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:
أ. سليمان داوود الحزامي/ مستشارا
د. حيدر غلوم خاجة
أ. زايد الزيد
د. زبيدة علي أشكناني
د. سعاد عبدالوهاب العبد الرحمن
د. سليمان علي الشطي
أ. فارس جون غلوب
د. محمد المنصف الشنوفي

مديرة التحرير
وسمية الولايتي

التنضيد والإخراج والتنفيذ:
وحدة الإنتاج
في المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	**500** فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	**10** د.ك
للمؤسسات	**20** د.ك

دول الخليج

للأفراد	**12** د.ك
للمؤسسات	**24** د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	**25** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**50** دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	**50** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**100** دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي **13147**
دولة الكويت

ردمك ٨ - ٠٩٨ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906 - 0 - 098 - 8

أناتول وجنون العظمة

سلسلة مسرحيّة قصصية

من روائع الأدب العالمي

مكتبة
t.me/soramnqraa

العنوان الأصلي :

Anatols GröBenwahn. ●

الطبعة الأولى : (١٨٩٣)

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . 2003م

إبداعات عالمية - العدد 339

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣ - ١٩٩٠)

اسم اللوحة : مع الريح
الفنـان : أسعد بوناشي
المـادة : زيت
القياس : ٧٠ X ٩٠

مقدمة المراجع

ليس من الغريب أن نجد أن اللغة الواحدة التي يتكلمها النمساويون والألمان، والعلاقات السياسية والثقافية بين البلدين، تغري الكثير من النمساويين، إلى يومنا هذا، بوصف الأدب النمساوي بأنه مجرد جزء من الأدب الألماني. ولكن الملاحظة الدقيقة تبين أننا بصدد أدبين مستقلين لكل منهما سماته النوعية، سلكا في نموهما سبيلين مختلفين. كذلك الأدب السويسري ألماني اللغة، وأدب جمهورية ألمانيا الديموقراطية - قبل أن تنتهي - أدبان يشتركان في اللغة ويختلفان في المضمون الاجتماعي الذي خرجا إلى الوجود في ظله، ولكل منهما قيمته الخاصة التي لا يخطئها التقدير. ولهذا يمكننا التحدث عن أربعة آداب ألمانية اللغة، وتلك ظاهرة نكاد لا نعرف لها مثيلا في بيئة ثقافية أخرى في أوروبا.

كان رائد الحداثة في ڤيينا عام ١٩٠٠ هو الكاتب والصحافي والناقد هرمان بار (Hermann Bahr) الذي أمضى سنوات عديدة في باريس، وعرف ما كان هناك من حركات فكرية وفنية جديدة، فلما عاد إلى ڤيينا أصبح أشبه بالبؤرة التي يتركز فيها سعي الحياة الفنية إلى التجديد. وقد كانت مائدة بار الأدبية المستديرة، التي كان يسميها «ڤيينا الفتاة»، في مقهى «جرينشتال يدل» مكانا تتحلق حوله جماعة منهم شنيتسلر وألتنبرج وزالتن وهوفمنستال شابا. ويعد أرتور شنيتسلر أشد الأدباء تمثيلا لڤيينا القيصرية، وأعماله الدرامية والقصصية تعبر عن روح عصرها بدقة دونها دقة الفاحص الإكلينيكي. ولم يكن شنيتسلر فقط

أستاذ السكنات الرنانة والنغمات المتداخلة، كما وصفه روبرت موزيل، ولم يكن فقط مؤلف كوميديات صالون وكوميديات حوارية، كما يقول عنه، حتى اليوم، أولئك الذين يحلو لهم الحط من قدره، بل كان رائدا في علم النفس سبق فرويد، ففي عام ١٨٩٠ - قبل ظهور كتاب فرويد «تفسير الأحلام» - نحت في مسرحيته ذات الفصل الواحد «سؤال إلى القدر» كلمة اللاشعور، وقد وصف شتيكيل، تلميذ فرويد، تحليلات شنيتسلر النفسية قائلا: «إن البحث العلمي يمكنه أن يستخدمها بوصفها مواد موضوعات حقيقية». وكان فرويد طوال حياته يتحاشى لقاء شنيتسلر، كان شيء من قبيل الخوف من القرين يمنعه من الالتقاء به. ولكنهما تبادلا الرسائل، وفي أحد الخطابات التي بعث بها فرويد إلى شنيتسلر يقول له: «اعتناقك لحقائق اللاشعور، والطبيعية الغرزية للإنسان، وتحليلك لصنوف الاطمئنان الثقافي التقليدي، والتصاق أفكارك بثنائية الحب والموت، كل هذا يمسني بألفة هائلة...».

في قصة «الملازم جوستل» (١٩٠٠) يحطم شنيتسلر حرمة من حرمات زمانه؛ فيميط اللثام عن سفاهة الشرف العسكري الذي لم يكن أحد يمسه من قريب أو بعيد، ويصوّر ضابطا في صور شخصية بين المهزلة والمأساة؛ وكانت النتيجة أن السلطات انتقمت من شنيتسلر بتجريده من رتبته العسكرية... وقصة «الملازم جوستل» هي التجسيم الأدبي الأول «لتيار الوعي» الذي يقترب اقترابا شديدا من التداعي في التحليل النفسي. وقد سبق شنيتسلر إلى «الحوار

الداخلي» الذي كثر الحديث عنه، واستخدمه قبل جيمس جويس (أوليس ULYSSES) بعشرين سنة.

في مسرحية «ببغاء الكاكادو الأخضر» (١٨٩٩) و«عند ڤورشتل الكبير» (١٩٠٤) وجد شنيتسلر أخيرا أشكال المسرح ذي الأرضيتين أو المستويين الذي يشك في ذاته، ويتحلل من ذاته وتتلاشى فيه الحدود بين التمثيل والواقع، على نحو ما نعرف في مسرح بيراندييللو، الذي جاء بعده بعشرين سنة. في هذا المسرح نرى شخصيات المسرحية تستقل بذاتها، ونرى الجمهور يدخل طرفا في السياق. أو قل إننا نجد هنا بدايات مسرح إغراب، مسرح لا معقول، مسرح احتفالي، يجسم الحداثة في مفهومنا اليوم.

من التيارات الفكرية التي نشأت في النمسا وخرجت منها إلى العالم كله، فكرة الصهيونية. والواقع أن نسبة كبيرة من السكان اليهود كانت قد اندمجت اندماجا كاملا، وإذا كان اليهود قد مُنعوا من دخول الجيش أو من تولي الوظائف الحكومية فقد تركت لهم حرية العمل تجارا ومحامين وكتابا وصحافيين. وكان المثقفون المتحررون من اليهود، من أمثال فرويد وشنيتسلر وتسفايج وكراوس، أو الصحافيون أصحاب النفوذ الواسع، من أمثال بينيدكت وسيپس، يسيطرون على الحياة الفكرية والفنية في ڤيينا، ويسيطرون على قطاع كبير من الصحافة ووسائل الطبع والنشر. ومن أعمال شنيتسلر الأخيرة ذات النقد الاجتماعي نذكر مسرحية «الأستاذ برنهاردي» (١٩١٢)، التي صورت العداء بين طبيب يهودي وأحد القساوسة، أو بالأحرى صراعا اجتماعيا تحت شعار عداء الساميين[١].

إن إبداعات شنيتسلر الأدبية لم تحظ، بما هي جديرة به من التقدير إلا بعد نصف قرن من خروجها إلى الوجود، فلم يكن يحيط نفسه بهالة المجدد أو الثوري؛ كانت المضامين والأشكال الجديدة تنهمر عليه طبيعة، كأنها تلعب معه لعبة تلقائية ولهذا لم ينتبه النقاد إلى قيمته حينا طويلا، وضموه، إلى مدرسة الانطباعيين والطبيعيين الذين انتهى عهدهم إلى عالم الأمس.

أما بالنسبة للعمل الذي بين أيدينا، السلسلة المسرحية القصصية «أناتول»، فقد ذكر شنيتسلر في مقدمتها أنها من أعماله التي أنجزها في شبابه. وقد ظهرت عام ١٨٩٣ في مدينة ليبتسج، وعرضت على المسرح للمرة الأولى في ڤيينا يوم ٣ ديسمبر ١٩١٠، وفي الوقت نفسه على «مسرح ليسنج» في برلين، ثم صارت فيلما عام ١٩٦٢ في مجموعة أفلام الأعمال المسرحية. وتضم هذه السلسلة المسرحية القصصية ثمانية مشاهد شبه منفردة، إن لم يكن كل منها قائما بذاته. وحملت هذه المجموعة عنوان أحد هذه المشاهد؛ وهو «أناتول وجنون العظمة». إلا أن شنيتسلر حذف هذا المشهد ووضع مكانه مشهدا جديدا تحت عنوان «صبيحة زفاف أناتول». وفيما بعد أصدر مشهد «أناتول وجنون العظمة» منفردا.

في كل هذه المشاهد يحكي أناتول لصديقه ماكس عن حبه لعدد من النساء. وفي الحوار، الذي لا يعدو كونه مونولوجا، نظرا لأن ماكس ليس إلا مستمعا، يطرح أناتول شكل حياته بكل صراحة، وهي حياة الأنانية التي تقتصر فقط على الغريزة الجنسية، فالنساء لسن إلا عوامل مثيرة يحتاج إليهن من أجل أن يستشعر ذاته. وغياب القيم التي يمكن أن يتمسك بها يؤدي إلى الانحطاط[٢].

د. محسن الدمرداش

مقدمة المترجم

تعتبر هذه المسرحية من الأعمال الرائدة في الأدب الألماني، إذ مكنت الكاتب - وهو نمساوي - من الخروج عما كان يسمى بالأدب الواقعي الذي كان سائدا حتى ذلك الحين. وأناتول هي من أولى المسرحيات التي ألفها شنيتسلر في الفترة ما بين ١٨٨٨ وحتى ١٩٠١، وهي عبارة عن سبع حلقات تبدو كأنها غير مترابطة، إلا أن القارئ سرعان ما يتبين ترابطها، ثم إن الأسلوب سرعان ما يجذب القارئ فيجد ترابطا بين كل حلقة من حلقاتها. والقصة هي حوار يدور بين أناتول، الذي يتميز بشخصية خاصة وأهواء مضطربة تتعلق كلها بالحب والنساء وأمور الحياة، مع صديقه ماكس، الذي لم يكن موجودا إلا لوضع النقاط على الحروف، ويستعمل الكاتب في هذه المسرحية أسلوب الحوار الذي كان متداولا في أوساط معينة من المجتمع في ڤيينا، عاصمة الإمبراطورية النمساوية آنذاك، أي في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ويبدو أنه كان يفعل ذلك مستهزئا من ذلك النمط المتدني من الحياة لدى تلك الفئة من المجتمع، إلا أن القارئ يتبين بعد ذلك أن الكاتب إنما كان يتعرض لأفكار معينة قد توجد لدى شريحة أكبر من الناس.

ثم إن المسرحية لا تخلو من لفتات نفسانية مرجعها ولع المؤلف - الذي كان طبيبا وكاتبا في الحين ذاته - بالتحليل النفسي الذي أرسى فرويد أسسه في العاصمة ذاتها، وفي تلك الفترة بالذات. وقد أولع شنيتسلر بالغوص في أعماق النفس الإنسانية، فهو في الفصل الأول من المسرحية (سؤال إلى القدر)،

يعكس الأمور، فيكشف «المعالج» نفسه وشكوكه أمام المجهول، بدلا من الفتاة «كورا»، التي قبلت مختارة بأن تخضع للتنويم المغناطيسي، الأمر الذي جلب للكاتب من فرويد لقب «الباحث الجسور في أعماق النفس البشرية».

أما الفصل السابع من تلك السلسلة، أي «أناتول وجنون العظمة» فقد حذف لاحقا من قبل المؤلف ليضع مكانه «صبيحة زفاف أناتول»، أما «أناتول وجنون العظمة» فقد ألحقت بالمسرحية لتصبح من فصل واحد.

ولد أرتور شنيتسلر في مدينة فيينا، عاصمة امبراطورية النمسا آنذاك، وذلك في منتصف مايو العام ١٨٦٢، وأسوة بوالده يوهان، الذي كان طبيبا وأستاذا في أمراض الحنجرة، فقد التحق بعد إنهائه للمدرسة الثانوية بكلية الطب في ڤيينا، حيث تخرج فيها عام ١٨٨٥، أما أول أعماله الأدبية فقد ظهر في الفترة ما بين ١٨٨٦ و١٨٨٩، أثناء تمرسه في العمل الطبي في المستشفى الجامعي في ڤيينا، وتحول في الأعوام ١٨٨٨ وحتى ١٨٩٣، إلى العمل كطبيب مساعد لوالده في المستشفى الجامعي، وبدأ في تلك الأثناء التحضير للكتابة في سلسلة أناتول، وذلك بالإضافة إلى نشر مسرحيته الأولى من فصل واحد «مغامرة حياته» من قبل إحدى دور النشر. وفي عام ١٨٩٣ افتتح عيادة خاصة في مدينة ڤيينا، وعرض في العام ذاته في منتجع «باد ايشل»، الذي يقع في منطقة البحيرات الشهيرة، فصل «العشاء الأخير» من سلسلة أناتول، وتتالت بعد ذلك مؤلفات ومسرحيات شنيتسلر، التي جلبت له أربع جوائز، وذلك حتى وفاته في عام ١٩٣١ في مدينة ڤيينا.

ومن خلال مسرحية أناتول، يكون أرتور شنيتسلر قد تمكن من تحقيق عمل جديد في عالم الأدب، إذ خرج من خلال الأدب الواقعي. وفي تبسيط للأمور وتسهيل لها فقد سعى الكثيرون إلى رؤية شنيتسلر من خلال شخصية بطله أناتول.

كتب هوجو فون هوفمنستال، وهو بعد في السابعة عشرة من عمره قصائد ومسرحيات صغيرة باسم مستعار هو لوريس (LORIS)[٣]، تحت هذا الاسم وردت أبياته الآتية، التي اقتبسها شنيتسلر في مقدمة مسرحيته، التي نحن بصددها:

هيّا نمثل على المسرح
قصصا من حياتنا
سبق الذهن فيها العمر، ذات نعومة وحزن
فكاهة عالمنا النفسي،
شر تحت رداء برّاق
زلاقة لسان وصور متعددة الألوان
إحساس حائر خفيّ
نزعات أخيرة، أحداث عابرة...
(هوجو فون هوفمنستال
[لوريس] ڤيينا ١٨٩٢)

د. محمد إبراهيم الأتاسي

مكتبة
t.me/soramnqraa

المشهد الأول:
سؤال إلى القدر

شخوص المشهد

- أناتول
- ماكس
- كورا

(أناتول وماكس وكورا في غرفة أناتول)

مـــــاكس: كم أحسدك يا أناتول...

أنـــاتـــول: (يبتسم).

مـــــاكس: دعني أقُلْ لك إنني دهشت، لأنني كنت، حتى الآن، أعتبر كل هذا هراء... وإذا بي أرى الآن... كيف نامت هي أمام عينيَّ... كيف رقصت بعد أن أوحيت إليها أنها راقصة باليه، وكيف بكت من فورها عندما أبلغتها بموت عشيقها، وكيف صفحت عن أحد المجرمين بعدما جعلت منها ملكة.

أنـــاتـــول: نعم، نعم.

مـــــاكس: أكاد أرى أن بداخلك ساحرا!

أنـــاتـــول: بداخلنا جميعا.

مـــــاكس: أمر عجيب.

أنـــاتـــول: لا أعتقد... ليس أعجب من حياتنا ذاتها، ولا أعجب من كثير مما تجلّى عبر مئات السنين. ما ظنك في شعور أسلافنا عندما علموا لأول مرة أن الأرض تدور حول نفسها؟ لا بد من أن الدوار قد أصابهم آنذاك!

مـــــاكس: إلا أن ذلك شأن الجميع!

أنـــاتـــول: حتى وإن اكتشفنا الربيع حديثا... فلن يصدق به أحد! وذلك على الرغم من الأشجار المخضرة والورود المزهرة والحب الشاب.

مـــــاكس: كم تضلل نفسك بأمور معقدة. وماذا عن المغناطيس؟

أنـــاتـــول: التنويم المغناطيسي؟

مـــــاكس: كلا، ما له شأن بالمغناطيس. أنا لم ولن أسمح لأحد بأن ينومني مغناطيسيا.

أنـــاتـــول: سذاجة! ماذا لو استلقيت هنا بهدوء ونومتك مغناطيسيا!

مـــــاكس: آه! حتى تقول لي «أنت منظّف المداخن»، ثم أصعد أنا لتنظيف المدخنة وينزل عليّ الرماد وسواد المدخنة!.

أنـــاتـــول: لا، كل شيء على سبيل المزاح... إن أهم ما في الموضوع هو الاستفادة العلمية. إلا أننا لم نقطع فيها باعا حتى الآن.

مـــــاكس: كيف؟

أنـــاتـــول: هأنذا مثلا، الذي استطاع مئات المرات أن ينقل هذه الفتاة من عالمها إلي عالم آخر، كيف أفعل هذا مع نفسي ولو مرة واحدة؟

مـــــاكس: أوليس هذا ممكنا؟

أنـــاتـــول: أقول لك الحقيقة! لقد حاولت ذلك من قبل، فقد ركزت بصري عدة دقائق على خاتمي الماسي هذا، وأوحيت إلى نفسي قائلا: نم الآن يا أناتول، وعند استيقاظك تكون أفكارك عن تلك الفتاة، التي أخذت عقلك، قد خرجت من قلبك.

مـــــاكس: ها، وعندما استيقظت؟

أنـــاتـــول: آه، إنني لم أنم مطلقا.

مـــــاكس: المرأة هي المرأة!... وأنت على حالك دائما!

أنـــاتـــول: نعم يا صديقي!.. دائما! أنا في تعاسة ومجون.

مـــــاكس: أي إنك دائما في شك؟

أنـــاتـــول: كـــلا... لست في شك، بل على يقين من أنهـــا تخونني! فما لامست شفتيها شفتاي، وداعبت يدها شعري... وغمرتنا السعادة، إلا وأدركت أنها تخونني.

مكتبة
t.me/soramnqraa

مـــــاكس: إنه وهم!

أنـــاتـــول: كلا!

مـــــاكس: وأين إثباتاتك؟

أنـــاتـــول: حدّثني قلبي بذلك... وأحسسته... وهأنذا الآن أعيه!

مـــــاكس: منطق عجيب!

أنـــاتـــول: هذا النوع من النساء يخنّنا دائما... ولا يدركن ذلك... فهو أمر طبيعي لديهن... مثلما يتعين عليّ، في بعض الأحيان، قراءة كتابين أو ثلاثة في آن واحد، فإن عليهن عقد علاقتين غراميتين أو ثلاث علاقات في آن واحد.

مـــــاكس: إلا أنها تحبك؟

أنـــاتـــول: حب بلا نهاية... لكن سيّان عندي، فهي خائنة.

مـــــاكس: ومع مَنْ تخونك؟

أنـــاتـــول: حسب معلوماتي؟ ربما مع أحد الأمراء بعد أن تعقّبها في الطريق، أو مع أحد الشعراء في بيت بضاحية المدينة بعد أن تبسّم لها من النافذة عند مرورها به في الصباح الباكر!

مـــاكس: أنت موسوس!

أنـــاتـــول: إذن وما السبب، الذي لا يجعلها تخونني؟ هي مثل غيرها من النساء تحب الحياة دون إمعان الفكر. إذا ما سألتها: «أتحبينني؟» - تقول نعم - وهي تقول الحقيقة بالفعل، وإذا ما سألتها: «هل أنت مخلصة لي؟» - تعود وتقول نعم - وهي تقول الحقيقة أيضا، فقط لأنها لا تتذكر أحباءها الآخرين - على الأقل في هذه اللحظة - وإذا ما أجابتك إحداهن قائلة: «أنا أخونك يا حبيبي؟» كيف تتأكد من هذا؟ وإن أخلصت لي.

مـــاكس: إن كان؟

أنـــاتـــول: ستكون عندئذ مجرد مصادفة... وأبدا لن تقول لنفسها: «آه، يجب عليّ أن أخلص له، لحبيبي أناتول... أبدا».

مـــاكس: لكن ماذا لو أنها تحبك؟

أنـــاتـــول: آه يالسذاجتك يا صديقي! إن كان هذا!

مـــاكس: ماذا إذن؟

أنـــاتـــول: لماذا لا أخلص لها؟... سوف أحبها بالتأكيد!

مـــاكس: آه، هكذا الرجال!

أنـــاتـــول: يا لها من عبارة قديمة ساذجة! نريد دائما أن نوهم أنفسنا بأن النساء يختلفن عنّا في هذا- فقط بعضهن... اللاتي حبستهن أمهاتهن، أو تنقصهن الحميّة... إننا سواء، فإذا قلت لإحداهن: «لا أحب سواك»، لا أشعر بأني أكذب عليها، حتى ولو كنت بالأمس محتضنا أخرى ناهدة الصدر.

مـــاكس: آه... أنت!

أنـــاتـــول: نعم... أنا! وربما أنت؟ وربما معبودتي كورا؟ آه كم أغتاظ عندما أركع أمامها وأقول: «يا نور عيني! يا حبيبتي! أغفر لكِ كل ما مضى، لكن قولي لي الحقيقة» وهل يجدي ذلك؟ سوف تكذب كما فعلت من قبل - وأنا سوف أكون مثلما كنت من قبل. ولكم ترجو إحداهن: «قل لي بربك! هل أنت بحق مخلص لي؟ ولن ألومك إن لم تكن مخلصا، لكن قل الحقيقة! لا بد من أن أعرفها»... وماذا فعلت أنا؟ كذبت... بهدوء وبابتسامة سعيدة... وسريرة نقية. وسألت نفسي، لماذا أجعلها تغتم؟ وقلت: «نعم يا ملاكي! إنني مخلص حتى الموت». وصدقتني وغمرتها السعادة!

مـــاكس: وكان!

أنـــاتـــول: لكنني لا أصدق ولست سعيدا! ولن أسعد إلا إذا

صارت هناك، ولو وسيلة واحدة مؤكدة، تجعل تلك المخلوقات الغبية والحلوة والبغيضة تتكلم، أو تجعلنا نعرف الحقيقة بطريقة أخرى... لكن لا سبيل سوى المصادفة.

ماكس: والتنويم المغناطيسي؟

أناتول: ماذا؟

ماكس: التنويم المغناطيسي... أقصد أنك تنوّمها وتقول لها: «لا بد من أن تقولي الحقيقة!».

أناتول: (يهمهم متسائلا)

ماكس: لا بد... أتسمعني.

أناتول: أمر عجيب!.

ماكس: لكن لا بد من أن يكون... ثم اسألها... أتحبينني؟... أم تحبين غيري؟.. أين كنتِ؟ إلى أين تذهبين؟... ما اسم الحبيب الآخر؟... وهكذا.

أناتول: ماكس! ماكس!

ماكس: ماذا؟

أناتول: صدقت!... يا حبذا إن استطاع المرء أن يصبح ساحرا! ويا حبذا إن استطاع أن يخرج كلمة صادقة من فم امرأة.

ماكس: ألا ترى؟ إنه إنقاذ لك! «وكورا» دون شك هي الوسيلة المناسبة... مساء اليوم تستطيع أن تعرف ما إذا كنت مخدوعا... أو...

أناتول: أو لا أُخدع!... ماكس!... دعني أعانقك!...

أشعر أنني قد تحررت... وصرت رجلا آخر... وهي في قبضة يدي.

ماكس: وأنا يأخذني الفضول.

أناتول: كيف؟ أيساورك بعض من الشك؟

ماكس: آه، ألا يجوز الشك لمن سواك.

أناتول: بالتأكيد!... فإذا دخل رجل بيته واكتشف زوجته مع عشيقها، وفيما بعد واجهه صديق له بقوله: «أعتقد أن زوجتك تخونك»، فلن يقول له: «قد استيقنت هذامنذ قليل»، لكن سوف يسبّه قائلا: «أنت منحط» و...

ماكس: معك حق! كدت أنسى أن أولى واجبات الصداقة هي أن تترك صديقك يسبح في خياله.

أناتول: اصمت!.

ماكس: ماذا؟

أناتول: ألا تسمعها؟ أعرف خطواتها وهي ما زالت في الردهة.

ماكس: لا أسمع شيئا.

أناتول: ها هي ذي اقتربت!... في الممر... (الباب ينفتح)... كورا! كورا (ما زالت في الخارج): مساء الخير! آه! لست بمفردك.

أناتول: إنه صديقي ماكس!

كورا: مساء الخير! يا سلام، لِمَ هذا الظلام؟

أنـــاتـــول: آه! أوشك الليل أن يحل. وهذا مـا أحب رؤياه كما تعلمين.

كـــــورا: (تداعب شعره بيدها): شاعري الشاب!

أنـــاتـــول: معشوقتي كورا!

كـــــورا: لكنني على كل حـــال ســـوف أضيء النور... إذا سمحت (توقد الشموع المركزة على الشمعدانات).

أنـــاتـــول: (موجها حديثه إلى ماكس): أليست فاتنة؟

مـــــاكس: يا لها من فاتنة!

كـــــورا: والآن يا أناتول، وأنت يا مـاكس! كيف حـالكمـا؟ هل طال تجاذبكما أطراف الحديث؟

أنـــاتـــول: نصف ساعة.

كـــــورا: هكذا، (تخلع قبعتها ومعطفها) وعن ماذا؟

أنـــاتـــول: عن هذا وذاك.

مـــــاكس: عن التنويم المغناطيسي.

كـــــورا: مرة أخرى التنويم المغناطيسي! إنه يؤدي بنا إلى قمة الغباء.

أنـــاتـــول: الأمر هو...

مـــــاكس: أنت، يا أناتول، يا حبذا إن نومتني مغناطيسيا.

أنـــاتـــول: أنا... أنت...؟

كـــــورا: نعم، أتصوّر أنه أمـر في غـاية الجمال. أقصد - لأنك تقوم به.

أنـــاتـــول: شكرا.

كـــــورا: لكن إن قام به غيرك... لا، لا أريده.

أنـــاتـــول: والآن يا حبيبتي... إن أردتِ سوف أنومك.

كـــــورا: متى؟

أنـــاتـــول: الآن! فورا! وأنتِ في مكانك.

كـــــورا: حسنا! ليكن! ماذا عليّ أن أفعل؟

أنـــاتـــول: لا شيء يا حبيبتي أكثر من أن تجلسي في هدوء على الأريكة برغبة صادقة في النعاس.

كـــــورا: آه! لدي بالفعل رغبة صادقة!

أنـــاتـــول: سأقف أمامك، وأنتِ تنظرين إليّ.. الآن... انظري إليّ... سوف أمسح على جبينك وعينيك، هكذا...

كـــــورا: ليكن، وماذا بعد...

أنـــاتـــول: لا شيء... لا عليك سوى الرغبة في النعاس.

كـــــورا: لكنك ما تمسح على عيني إلا وينتابني شعور غريب.

أنـــاتـــول: هدوء... لا تتكلمي... النوم. أنت فعلا مرهقة.

كـــــورا: لا.

أنـــاتـــول: بلى!... إلى حد ما مُرهقة.

كـــــورا: إلى حد ما، ربما...

أنـــاتـــول: ... ثقلت عليكِ أجفانك... ثقيلة جدا، وكدت لا تستطيعين رفع يدك...

كـــــورا: (بصوت خافت): فعلا.

أنـــاتـــول: (على وتيرة واحدة يواصل المسح على جبينها وعينيها): متعبة... أنتِ في غاية التعب... والآن يا معبودتي لكِ أن تنعسي... نامي... أنتِ في غـــاية التـــعب... الآن يا لكِ أن

تنعسي... نامي يلتفت إلى ماكس، الذي يبدو مندهشا، ومعبرا بوجهه عن الانتصار)
نامي... عيناك الآن مغلقتان بإحكام..
وأصبحتِ (لا تستطيعين فتحهما)...
كورا (تريد فتح عينيها).

أناتول: لم يعد في الإمكان... أنتِ نائمة... لا شيء سوى أن تواصلي نومك... هكذا...
ماكس (يريد أن يطرح سؤالا): أنتِ...

أناتول: هدوء! (موجها حديثه إلى كورا)... النوم... استغراق في نوم عميق... (يقف برهة أمام كورا، وقد هدأت أنفاسها ونامت) هكذا... يمكنك الآن أن تسألها.

ماكس: أردت أن أسأل فقط إذا ما كانت قد نامت بالفعل.

أناتول: ها أنت ذا ترى... نريد الآن أن ننتظر بعض اللحظات (يقف أمامها وينظر إليها بهدوء). (تمر فترة سكون طويلة) يا كورا... سوف تجيبين عن أسئلتي. أجيبيي! ما اسمك؟
كورا.

كورا: يا كورا، نحن الآن في الغابة.

أناتول: آه... نعم في الغابة... ما أجملها! أشجارها

كورا: الخضراء... وجماعات العندليب.

أناتول: يا كورا!... الآن ستقولين لي الحقيقة أيا كانت... ماذا ستفعلين يا كورا؟

كـــــورا: سأقول الحقيقة.

أنـــاتـــول: ستجيبين عن كل أسئلتي بصراحة، وحين تستيقظين سوف تنسين كل شيء! هل تفهمينني؟

كـــــورا: نعم.

أنـــاتـــول: الآن... نامي!... نامي ملء جفنيك! (متجها نحو ماكس) سوف أسألها الآن...

مـــــاكس: أقول لك! كم عمرها؟

أنـــاتـــول: تسعة عشر عاما... يا كورا! كم عمرك؟

كـــــورا: واحد وعشرون عاما.

مـــــاكس: ها ها!

أنـــاتـــول: اسكت! أمر عظيم... لقد نجحت التجربة...

مـــــاكس: آه! لو علِمت أنها وسيط[٤] جيد هكذا.

أنـــاتـــول: لقد أحدث الإيحاء مفعوله، سوف أتابع مساءلتها.

- ياكورا! هل تحبينني؟...

- يا كورا! هل تحبينني؟...

كـــــورا: نعم.

أنـــاتـــول: (متهللا بالنصر): أسمعت؟

مـــــاكس: نعم، لكن أهم سؤال الآن، هل هي مخلصة؟

أنـــاتـــول: ياكورا! (يعود ويلتفت إلى ماكس) سؤال غبي.

مـــــاكس: لماذا؟

أنـــاتـــول: لا يمكن طرح السؤال هكذا!

مـــــاكس: ...؟

أنـــاتـــول: يجب أن أغير صياغة السؤال.

مـــــاكس: أرى أنه دقيق بدرجة كافية.

أنـــاتـــول: لا، هذا هو الخطأ، ليس فيه ما يكفي من الدقة.

مـــــاكس: كيف؟

أنـــاتـــول: إذا ما سألتها: هل أنت مخلصة؟ فربما تفهم أن المقصود هو المعنى العام.

مـــــاكس: ماذا إذن؟

أنـــاتـــول: ربما تفهم أن المقصود هو كل الماضي.. وممكن أن ترى أن المقصود هو وقت بذاته أحبت فيه شخصا آخر... ثم تجيب: لا.

مـــــاكس: هذا سيكون - أيضا - في منتهى الإثارة.

أنـــاتـــول: شكرا... إنني أعلم أن كورا قابلت آخرين من قبلي... وقالت لي ذات مرة: آه، لو علمت أنني سوف أعرفك يوما ما... كنت...

مـــــاكس: لكنها لم تعلم.

أنـــاتـــول: لا...

مـــــاكس: وعما يتعلق بسؤالك...

أنـــاتـــول: آه... هذا السؤال... أراه فظا، ولو في صياغته على الأقل.

مـــــاكس: إذن فصغه مثلا هكذا: يا كورا! هل كنت مخلصة لي منذ عرفتني؟

أنـــاتـــول (يهمهم مرافقا): ... ممكن (موجها حديثه إلى كورا) يا كورا! هل كنتِ... هذا أيضا تخريف!

مـــــاكس: تخريف؟

أنـــاتـــول: أرجوك... لا بد فقط من أن نضع في اعتبارنا كيف تعارفنا. لم يخطر ببالنا أن الحب سيصل بنا إلى هذا الجنون. كلانا رأى أن الأمـــر كله سيمر مرور الكرام. مَنْ يعلم...

مـــــاكس: مَنْ يعلم...؟

أنـــاتـــول: مَنْ يعلم أنها لم تحبني... إلا بعد ما أنهت حبها الآخر؟ ماذا فعلت تلك الفتاة قبل أن ألقاها بيوم واحد، قبل أن نتبادل الحديث لأول مرة؟ هل استطاعت أن تنزع نفسها من الماضي؟ أليس من الممكن أنهـا اضطرت أن تجـر وراءها سلسلة الحب القديمة أياما وأسابيع؟ أقول... اضطرت.

مـــــاكس: (يهمهم موافقا).

أنـــاتـــول: حتى إنني أريد أن أذهب أبعد من ذلك... أول مرة لنا معا كانت مجرد مزاج لها - ولي. كلانا لم ير سوى ذلك، كلانا لم يطلب من الآخر سوى ساعات لذيذة عابرة. وهل لي لوم عليها إذا ما ارتكبت فيها آثاما؟ لا ليس لي بالمرة.

مـــــاكس: أنت طيب جدا.

أنـــاتـــول: ليس إلى هذه الدرجة، بل أرى فقط أنه لا يصح استغلال مثل هذا الموقف العابر بهذه الطريقة.

مـــــاكس: لقد أصبت، لكنني أريد أن أخرجك من هذا المأزق.

أنـــاتـــول: ...؟

مـــــاكس: اسألها إذن كما يلي: يا كورا! هل أنت مخلصة لي... منذ أن أحببتني؟

أنـــاتـــول: إنه سؤال بالغ الوضوح.

مـــــاكس: والآن...؟

أنـــاتـــول: إنه ليس بإخلاص على أي حال من الأحوال.

مـــــاكس: آه!

أنـــاتـــول: إخـلاص! مـا مـعنى هذا؟ إخـلاص... لك أن تتـصـور... حـيث كـانت بالأمس في إحـدى مقصورات القطار، ولمس الرجل الجالس أمامها، بطرف قدمه قدمها. والآن في حالتها الراهنة، حيث بلغت قدرة استيعابها عبر التنويم إلى ما لا نهاية، وبما أن الوسيط هو بلا شك المسيطر في التنويم المغناطيسي، فليس من المستبعد مطلقا أن تعتبر، هي نفسها، هذه الحالة خيانة.

مـــــاكس: جميل!

أنـــاتـــول: الأكثر من هذا أنها عرفت بعضا من آرائي شبه الحادة عبر أحاديثنا التي كنا نديرها أحيانا في هذا الموضوع. لقد قلت لها بنفسي: ياكورا! إن نظرتك البسيطة لغيري هي خيانة لي!

مـــــاكس: وهي؟

أنـــاتـــول: وهي، هل ضحكت عليّ وقالت كيف يمكنني أن أعتقد مجرد الاعتقاد أنها تنظر لغيري.

مـــــاكس: وعلى الرغم من ذلك تعتقد...؟

أنـــاتـــول: هناك مصادفات - تخيّل! يتعقبها أحد اللحوحين في المساء ويُقبّل رقبتها.

مـــاكس: وهذا...

أنـــاتـــول: هذا ليس مستحيلا على وجه الإطلاق.

مـــاكس: أي أنك لا تريد سؤالها.

أنـــاتـــول: بلى... ولكن...

مـــاكس: كل ما قلته تخريف. صدقني! فالنساء لا يسئن فهمنا إذا ما طلبنا منهن الإخلاص. وإذا أنت همست لها الآن بصوت ناعم هيمان قائلا: هل أنتِ مخلصة لي؟... هكذا لن يشغلها طرف قدم رجلٍ أو قبلة لحوح في القفا... ولكن ما نعتبره جميعا خيانة فقط، وإذا ما جاءت الردود ناقصة تكون لديك القدرة دائما على طرح أسئلة أخرى جديدة توضح كل شيء.

أنـــاتـــول: إذن أنت تصر على أن أسألها...

مـــاكس: أنا؟... بل أنت تريد هذا!

أنـــاتـــول: لقد طرأ على ذهني شيء آخر.

مـــاكس: وهو...؟

أنـــاتـــول: اللاشعور!

مـــاكس: اللاشعور!

أنـــاتـــول: أقصد حالات اللاشعور.

مـــاكس: هكذا.

أنـــاتـــول: هذه الحالات يمكن أن تنشأ من ذاتها، كما يمكن

أن تُستَحْضر اصطناعيا... عبر مواد مخدرة وأخرى مسكرة.

ماكس: ألا تريد أن توضح ببعض من الإسهاب...؟

أناتول: استحضر في ذهنك حجرة مريحة ذات إضاءة ضعيفة.

ماكس: ذات إضاءة ضعيفة... مريحة... هأنذا استحضر في ذهني.

أناتول: في هذه الحجرة... هي... وشخص آخر.

ماكس: آه، وكيف دخلت هنا؟

أناتول: أريد أن أترك هذا الأمر معلّقا مؤقتا.
وهناك علل... كافية! يمكن أن يحدث مثل هذا.
أما الآن - بعض كؤوس نبيذ نهر الراين... جو شهواني مثير يجسم كل المكان، عبق شذا السجائر، كسوة الحائط معطّرة، ضوء ثُريّا من الزجاج المصنفر، وستائر حمراء... خلوة، سكون... لا شيء سوى المناجاة الحلوة.

ماكس: ...!

أناتول: وكم غيرها قد وقعن هنا! أحسن وأهدأ منها!

ماكس: نعم، لكنني لا أستطيع أن أجد أي علاقة بين الإخلاص أن يتواجد المرء مع أخريات في هذا المكان.

أناتول: وكم من أمور مبهمة...

ماكس: الآن يا صديقي، ولديك حل لأحد هذه الأمور،

التي تجعل أعظم الرجال فكرا ينحنون أمامك، لا عليك سوى أن تتحدث وقد عرفت كل شيء أردت أن تعرفه. سؤال... هل تعلم، إذن، أنك كنت واحدا من هؤلاء القلة الذين لم ينل أحد الحب سواهم، هل تستطيع أن تعلم، أيّا كان خصمك، كيف تستطيع أن تنتصر عليه - أنت لا تنطق هذه الكلمة! - لقد تركت هذا السؤال للقدر! لم تطرحه! أنت تعذب نفسك ليل نهار، وتضيّع نصف حياتك بحثا عن الحقيقة، وهي الآن أمامك، لكنك لا تنحني لتلتقطها! لماذا؟ ربما لأنها سوف تستطيع أن تعترف بأن أي امرأة تحبها تكون بالفعل كما أرادت كل أفكارك لها أن تكون، ولأن وهمك أحب إليك ألف مرة من الحقيقة. إذن يكفي هذا اللعب، وعليك أن توقظ الفتاة وترضى بإدراكك الفخر بإمكانك إكمال الإتيان بمعجزة.

أناتول: ماكس!

ماكس: والآن، ربما أنني لست محقا؟ لكن ألا تعلم أن كل ما قلته لي من ذي قبل لم يكن سوى تهرب وعبارات جوفاء لم تستطع أن تضلّني أو تضل نفسك بها؟

أناتول: (بعصبية): ماكس... دعني أقل لك فقط إنني أريد، نعم أريد أن أسألها؟

مـــــاكس: آه!

أنـــاتـــول: لكن، لا تغضب مني... ليس أمامك!

مـــــاكس: ليس أمامي؟

أنـــاتـــول: إذا وجب عليّ سماع قول رهيب، أي إذا أجابتني: «لا، لم أكن مـخلصـة لك»، يجب عليّ أن أكـون الوحيد الذي يسمع هذا الكلام. نصف البلاء في وقوعه، أما نصفه الآخر ففي الأسف عليه: هذا كل مـا في الموضـوع! - لا أريد - أنت أعـز أصدقائي، وعلى الرغم من هذا لا أريد أن تلقي عيناك عليّ نظرات الرثاء، التي تقول للمبتلي كم هو مسكين... وربما يختلف الأمر، ربما أخجل منك. إلا أنك سوف تعلم الحقيقة، وتكون قد رأيت هذه الفتاة لآخر مرة عندي، إذا ما كانت قد خانتني! لكن لا يجوز أن تسمع هذا معي، إنه ما لا أستطيع احتماله. أتدرك هذا...؟

مـــــاكس: نعم يا صديقي (يصافحه)، وسوف أتركك معها وحدك.

أنـــاتـــول: يا صديقي! (يرافقه نحو الباب) بعد أقل من دقيقة سوف أدعوك للدخول! (ماكس يخرج).

أنـــاتـــول (يقف أمام كورا... ينظر إليها طويلا): كورا!... (يحرك رأسه ويدور حول نفسه) كورا! (راكعا على ركبته أمام كورا) كورا! جميلتي كورا! كورا! (يقف متخذا قرارا) استيقظي... وقبليني!

كـــــورا: (تستيقظ وتفرك عينيها وتحتضن أناتول): أناتول! هل نمت كثيرا؟... أين ماكس؟

أنـــاتـــول: يا ماكس!

مـــــاكس: (يأتي من الغرفة المجاورة) هأنذا!

أنـــاتـــول: نعم لقد نمت طويلا إلى حد ما، وتكلمت أثناء نومك.

كـــــورا: يا إلهي! هل كل شيء كان على ما يرام؟

مـــــاكس: لقد أجبت فقط عن أسئلته.

كـــــورا: وعمّ سأل؟

أنـــاتـــول: عما لا حصر له؟

كـــــورا: وهل أجبت دائما؟ دائما؟

أنـــاتـــول: دائما.

كـــــورا: وهل يجوز أن أعرف عم سألت؟

أنـــاتـــول: لا يجوز لأحد! وغدا سوف أنومك مرة أخرى مغناطيسيا!

كـــــورا: لا! أبدا! انه سحر. يسألوننا ونحن نائمون ولا نعرف شيئا بعد الإيقاظ.

بالتأكيد ارتفع صوتي في دردشة سخافات.

أنـــاتـــول: نعم... على سبيل المثال قلت إنك تحبينني...

كـــــورا: حقا؟

مـــــاكس: جميل جدا، إنها لا تصدق؟

كـــــورا: كيف... حتى إن كنت يقظة لقلته لك!

أنـــاتـــول: حبيبتي! (يتعانقان)

مـــــاكس: وداعا... سيداتي سادتي!

أنـــاتـــول: أتذهب؟

مـــــاكس: يتعين عليّ.

أنـــاتـــول: لا تؤاخذني إن لم أرافقك حتى الباب.

كـــــورا: إلى اللقاء!

مـــــاكس: لا لقاء بعد الآن (عند الباب) لقد اتضح لي أن النساء يكذبن حتى في التنويم المغناطيسي... إلا أنهن سعيدات، وهذا هو لب الموضوع. مع السلامة (لم يسمعاه لأنهما في عناق حار).

(الستار)

المشهد الثاني:
مشتريات عيد الميلاد المجيد

شخوص المشهد

- أناتول
- جابريلا

(أناتول، جابريلا – السادسة مساء ليلة عيد الميلاد المجيد، تساقط خفيف للثلوج، في شوارع ڤيينا)

أنـــاتـــول: يا سيدتي، يا سيدتي...!

جـــابريلا: ماذا؟... آه، أنت!

أنـــاتـــول: نعم!... إني أتابعك!... ولم أحتمل أن أراك وقد ثقل عليك ما تحملين! – عنك لفائفك!

جـــابريلا: لا، لا، شكرا!، إنني أحملها بنفسي!

أنـــاتـــول: لكنني أرجوكِ ألا تعسري عليّ أن أنال ذات مرة شرف القيام بواجبي –

جـــابريلا: آه... لتكن هذه اللفافة.

أنـــاتـــول: لكنهـــا تكاد تكون لا شيء... أعطني هذه... وتلك...

جـــابريلا: كفى، كفى... كم أنت لطيف!

أنـــاتـــول: كم يسعدني أن أكون كما تقولين... ولو مرة واحدة!

جـــابريلا: أنت دائما ما تثبت هذا، ولكن فقط في الشارع، عندما تتساقط الثلوج.

أنـــاتـــول: ... وكيف إذا ما جاء المساء... وحل عيد الميلاد المجيد؟

جـــابريلا: أصبحت معجزة حقا أن تقع عين المرء عليك!

أنـــاتـــول: نعم، نعم... إنك تقصدين أنني لم أزركم طوال هذا العام.

جـــابريلا: نعم، هذا تقريبا ما أقصد!

أنـــاتـــول: يا سيدتي، لم أزر أحدا طوال هذا العام، لم أزر أحدا! لكن، كيف حال زوجك؟ وما أخبار الأحباء الصغار؟

جـــابريلا: ممكن أن تتغافل عن هذا السؤال! فأنا أعرف أنك قليلا ما تهتم بكل هذا!

أنـــاتـــول: أمر رهيب أن يقابل المرء مَنْ هو خبير هكذا بما في النفوس.

جـــابريلا: إنني أعرفك!

أنـــاتـــول: ليس بالدرجة التي أتمناها!

جـــابريلا: دعك الآن من تعليقاتك! أفهمت؟

أنـــاتـــول: لا أستطيع يا سيدتي!

جـــابريلا: إذا أعد إلي لفائفي!

أنـــاتـــول: لا تغضبي... لا تغضبي!! هأنذا مطيع... (يسيران معا صامتين).

جـــابريلا: قل أي شيء!

أنـــاتـــول: أي شيء، ليكن، لكن رقابتك على كلامي صارمة.

جـــابريلا: قل لي أخبارك، فنحن لم نتقابل منذ فترة طويلة... ماذا تفعل الآن؟

أنـــاتـــول: كالمعتاد... لا أفعل شيئا!

جـــابريلا: لا شيء؟

أنـــاتـــول: لا شيء مطلقا.

جـــابريلا: للأسف!

أنـــاتـــول: آه... لكن الأمر بالنسبة لك سيّان!

جـــابريلا: كيف تستطيع أن تدعي هذا؟

أنـــاتـــول: لماذا أضيع حياتي سدى؟ مَنْ المسؤول؟ مَنْ؟

جـــابريلا: أعطني لفائفي!

أنـــاتـــول: إنني لم أتهم أحدا... إنني أتساءل دون هدف...

جـــابريلا: هل تخرج دائما للنزهة؟

أنـــاتـــول: نزهة! هكذا تقولينها بلسان ترفّع! وكأن فيها ما هو جميل! إنها كلمة تحوي الفوضى في طياتها! إلا أنهـــا لا تنطبق علي اليـــوم - اليـــوم أنا مشغول... مثلك تماما يا سيدتي!

جـــابريلا: كيف؟

أنـــاتـــول: مشتريات عيد الميلاد هي أيضا هدفي!

جـــابريلا: أنت؟!

أنـــاتـــول: إلا أنني حتى الآن لم أجد شيئا مناسبا! منذ أسابيع وأنا أقضي كل ليلة أمام شبابيك عرض كل المحلات في كل الشوارع! إلا أن البائعين قد فقدوا التذوق وروح الابتكار.

جـــابريلا: هذا ما يجب أن يتوافر لدى البائع! وإذا كان المرء لديه متسع من الوقت مثلك، فليفكر ويكتشف، ويطلب هداياه في الخريف.

أنـــاتـــول: آه، أنا لست مؤهلا لهذا! وهل يعرف المرء في الخريف مَنْ سيهاديهم في عيد الميلاد؟ والآن لم يتبق سوى ساعتين على الاحتفال بشجرة عيد الميلاد، وأنا لم أصل لشيء، لأي شيء!

جـــابريلا: ممكن أساعدك؟

أنـــاتـــول: أنتِ مـلاك... يا سـيـدتي! لكن لا تأخـذي مني لفائفك...

جـــابريلا: لا، لا...

أنـــاتـــول: أيتها الملاك! هل يجوز قول هذا؟ قول جميل... ملاك!

جـــابريلا: ألا تكف عن هذا الكلام؟

أنـــاتـــول: هأنذا أعود للهدوء التام!

جـــابريلا: إذن، دعنى أبدأ في أحـد الموضـوعـات... لمن هديَّتك؟

أنـــاتـــول: هذا ... سؤال تصعب الإجابة عنه.

جـــابريلا: طبعا لإحدى السيدات!؟

أنـــاتـــول: آه، ألم أقل لكِ اليوم أنك خبيرة بما في النفوس!

جـــابريلا: لكن... لسيدة؟ فعلا لسيدة؟!

أنـــاتـــول: لكن لا بد أن نتفق أولا ما المقصود بسيدة! إذا كنت تقصدين سيدة عموما - فلن يكون هذا هو موضوعنا.

جـــابريلا: إذن... لنجعله بوجه خاص؟...

أنـــاتـــول: جميل... بوجه خاص.

جـــابريلا: هذا ما كان عليّ أن أتوقعه...!

أنـــاتـــول: لكن دون سخرية لاذعة!

جـــابريلا: أنا أعرف ذوقك... لعل ملامح قامتها وقدّها لن تخرج عن أنها... نحيفة وشقراء!

أنـــاتـــول: نعم، أعترف أنها شقراء...!

جـــابريلا: آه، آه... شقـراء... من الملاحظ أنك دائمـا على علاقة بنساء الضواحي... دائما!

أنـــاتـــول: ليس ذنبي يا سيدتي.

جـــابريلا: دع هذا جانبا - يا سيـدي - آه، جميل أن تبقى على ما تحب... وظلم شديد أن تخرج من مجال نجاحك الباهر...

أنـــاتـــول: ومـاذا عـسـاي أن أفـعل، لا أجـد العـاطفـة إلا هناك...

جـــابريلا: وهل يفهمنك... هناك؟

أنـــاتـــول: لست أدري! - لكن، هـأنذا... أجـد الحب بوجـه خاص والفهم بوجه عام، كما تعلمين...

جـــابريلا: أنا لا أعلم شيئا... ولا أريد أن أعلم المزيد! - ها هو ذا المحل المناسب... هيـا لنشـتـري شـيـئـا لصغيرتك...

أنـــاتـــول: سيدتي الفاضلة!...

جـــابريلا: والآن... انظر... علبة صغيرة بها ثلاثة أنواع من العطور... أو الأخـرى بهـا ست قطع صـابون... بثلاث روائح جميلة مختلفة(٥) من أنها مناسبة... أليس كذلك؟!

أنـــاتـــول: يا سيدتي الفاضلة... ليس هذا هو المراد منك!

جـــابريلا: انتظر إذن، هنا...! - أترى؟... قـلادة صـغـيـرة بست قطع مـزيفـة من الماس - مـا رأيك - ست

قطع! - كم هي براقة! - أو هذا السوار الصغير الجذاب ذو الزخرفة الرائعة... آه... أحد الزخارف عبارة عن عرض متقن لرأس أحد الزنوج!... لا بد من أن يكون لهذا تأثير كبير... وخاصة هناك في الضاحية!

أناتول: سيدتي الفاضلة - لم تصلي للمراد! إنك لا تعرفين هؤلاء الفتيات - إنهن على عكس ما تتصورين...

جابريلا: وهنا... آه... شيء رائع! - اقترب - الآن - ما رأيك في هذه القبعة؟! - كانت قمة الموضة منذ عامين! والريش - وكأنه ينسدل - أليس كذلك!؟ لا بد من أنه سيلفت الأنظار - هناك في ضاحية «هرنالس»؟![٦]

أناتول: سيدتي... لم يكن حديثنا عن «هرنالس»... كما أنك على ما يبدو تهزئين بذوق أهل هذه الضاحية...

جابريلا: آه... حقا إنه أمر صعب معك - عليك أن تساعدني - أعطني أي إشارة.

أناتول: كيف يمكنني ذلك...!؟ وأنت على أي حال - سوف تأتين بابتسامة ظافرة!

جابريلا: كلا، كلا! - أخبرني فقط...! هل هي مغترة بنفسها أم متواضعة... طويلة أم قصيرة؟... هل تفضل الألوان الزاهية...؟

أنـــاتـــول: كان عليّ ألا أقبل مودتك!... فليس لديك سوى السخرية!

جـــابريلا: لا، سوف أنصت! حدثني عنها!

أنـــاتـــول: لن أجرؤ...

جـــابريلا: لا عليك سوى أن تتجرأ... منذ متى...؟

أنـــاتـــول: دعينا من هذا!

جـــابريلا: إنني أصر عليه! - منذ متى وأنت تعرفها؟

أنـــاتـــول: منذ فترة طويلة!

جـــابريلا: بهذه الطريقة تضع نفسك محلا للاستجواب...! ارو كل شيء دفعة واحدة...!

أنـــاتـــول: ليس هناك ما يروى!

جـــابريلا: لكنني أحب أن أعرف أين وكيف ومتى تعرفت إليها؟ وماذا عن شخصيتها عموما؟!

أنـــاتـــول: حسنا - لكنني أنبهك - إنه أمر ممل!

جـــابريلا: لا، بل أمر يهمني، إنني في الحقيقة أود أن أحيط بشيء من عالمنا هذا! - أي عالم عساه أن يكون؟ - إنني لا أعرف شيئا!

أنـــاتـــول: كما أنكِ لن تستطيعي فهمه مطلقا!

جـــابريلا: آه، يا سيدي!

أنـــاتـــول: إن لديك احتقارا عاما لكل ما هو خارج دائرتك الخاصة! - وأي ظلم هذا!

جـــابريلا: إلا أنني أود أن أعرف! - لكن إن لم يطلعني أحد على شيء من هذا العالم! فكيف تتسنى لي معرفته؟

أنـــاتـــول: لكن... أنت لديك شعور غامض بأن هناك من يسلبك شيئا. عداء كامن!

جـــابريلا: عفوا - ليس هناك من يسلبني شيئا أردت الاحتفاظ به لنفسي.

أنـــاتـــول: نعم... لكن إذا لم تريدي شيئا ما... هل تغضبين إذا ناله غيرك؟

جـــابريلا: آه !

أنـــاتـــول: سيدتي الفاضلة... إن هذا مجرد أمر أنثوي! وبما أنه أنثوي... فهو على ما يبدو يحتل أعلى درجة في التميز والجمال والعمق.

جـــابريلا: من أين أتاك هذا التهكم، ولم يعد لديك سواه!

أنـــاتـــول: من أين أتاني؟ حسبي أن أقول إنني ذات يوم كنت طيبا - وكلي ثقة - ولم يضم حديثي أي تهكم... وكم من جراح تحملتها في صمت.

جـــابريلا: إياك والرومانسية!

أنـــاتـــول: الجراح الحقيقية - نعم! - إن خرجت «لا» في وقتها عبر أحب الشفاه - كنت أستطيع أن أتحملها - لكن إذا قالت العيون مائة مرة «ربما»، والشفتان مائة مرة «يمكن!»، - وعبّر رنين الصوت مائة مرة عن التأكيد - فإن «لا» بعد ذلك تؤدي إلى...

جـــابريلا: فلنعد للشراء!

أنـــاتـــول: هكذا تؤدي «لا» بالمرء إلى الجنون... أو إلى السخرية!

جـــابريلا: كنت تريد... أن تروي لي

أنـــاتـــول: حسنا - ذلك إن أردت...

جـــابريلا: بالتأكيد أريد!... كيف تعرفت إليها...؟

أنـــاتـــول: يا إلهي - مثلما يتعارف الناس! - في الشارع - في حفلة رقص - في الحافلة - تحت المطرة.

جـــابريلا: لكنك تعلم أنني أهتم بها كحالة خاصة. ونحن نريد أن نشتري لهذه الحالة الخاصة.

أنـــاتـــول: هناك... في «العالم الصغير» ما من حالة خاصة ولا في الكبير... أنتن جميعا من نمط واحد!

جـــابريلا: يا سيدي الفاضل! ها أنت ذا بدأت من جديد.

أنـــاتـــول: إنها ليست إهانة بالمرة! أنا نفسي ذو نمط واحد!

جـــابريلا: وما هو؟

أنـــاتـــول: مكتئب ذو استهتار!

جـــابريلا: ... وأنا؟

أنـــاتـــول: أنت؟ ببساطة: غانية![٧]

جـــابريلا: هكذا!... وهي؟!

أنـــاتـــول: هي...؟ هي... شابة حلوة!

جـــابريلا: حلوة؟ هكذا «حلوة»؟... وأنا مجرد «غانية».

أنـــاتـــول: لتكن إذن: غانية مغتاظة - إذا أصررت...

جـــابريلا: هكذا... حدثني أخيرا عنها... تلك الشابة الحلوة!

أنـــاتـــول: لا هي فاتنة الجمال - ولا فائقة الأناقة - ولا متميزة بالومضات الفكرية.

جـــابريلا: لكنني لا أريد أن أعرف ما لا يميزها

أنـــاتـــول: تميزها رقة إحدى ليالي الربيع اللطيفة... ورشاقة أميرة ساحرة... وروح شابة تعرف كيف تحب!

جـــابريلا: لعل هذا النوع من الأرواح منتشر جدا... في عالمها الصغير!...

أنـــاتـــول: هذا ما لا تستطيعين تخيله!... فلم يجرؤ أحدهم أن يحدثك وأنت فتاة صغيرة - ثم انهالت عليك الأحاديث وأنت امرأة شابة!... مما جعلك تعانين سذاجة تخيلاتك.

جـــابريلا: لكنك تعـــرف أنني أريد أن أتعلم... أنا أصدقك، نعم هي «أميرة ساحرة»! - ارو لي فقط كيف تبدو حديقتها السحرية التي تستجم فيها

أنـــاتـــول: لا تتصوري... بهو براق، حيث ستائر ثقيلة على الأبواب، وفي الزوايا باقات زهور «ماكارت» [٨] وتحف فنية صغيرة، وقناديل، ومخمل غير براق... وظلمة وانية في أصيل كاد يرحل.

جـــابريلا: لا أريد أن أعرف ما لا يجوز تصوره.

أنـــاتـــول: إذن، تخيلي غرفة صغيرة فيما بين الليل والنهار، صغيرة جدا، ذات حوائط مطلية، يدخلها ضوء خافت، بعض من النقوش النحاسية القديمة السيئة معلقة هنا وهناك، مصباح يتدلى تحت

غطائه وإذا ما حل المساء تطل النافذة على الأسطح والمداخن وهي تتوارى في الظلام!.. وإذا ما جاء الربيع تزدهر الحدائق وتعبق.

جابريلا: لا بد من أنك سعيد لأنك تفكر في شهر مايو ونحن في عيد الميلاد!

أناتول: فعلا، هناك أجد السعادة في بعض الأحيان!

جابريلا: كفى، كفى! الوقت تأخر - ونحن نريد أن نشتري! ربما شيئا تحتاجه الحجرة ذات الحوائط المنقوشة...

أناتول: لا ينقصها شيء!

جابريلا: نعم... هي! - هذا ما أعتقده! - لكن من أجلك - نعم من أجلك! أريد أن أزين الحجرة بطريقتك!

أناتول: من أجلي؟

جابريلا: بسجاد إيراني صغير.

أناتول: لكني أرجوك - دعكِ من هذا!

جابريلا: أو بقنديل ذي كسيرات زجاجية حمراء وخضراء...؟

أناتول: (يهمهم)!

جابريلا: أو زهريتان بهما ورود شابة؟

أناتول: آه... لا بد من أن أحضر لها شيئا.

جابريلا: آه... فعلا - لا بد أن نقرر - هي في انتظارك؟

أناتول: بالتأكيد!

جـــابريلا: إنها تنتظر؟ قل لي... كيف تستقبلك؟

أنـــاتـــول: آه - مثل كل الناس.

جـــابريلا: هل تسمع خطاك على السلم... أليس كذلك؟

أنـــاتـــول: نعم... أحيانا.

جـــابريلا: وتقف عند الباب؟

أنـــاتـــول: نعم.

جـــابريلا: وتعانقك - وتقبلك - وتقول... ماذا تقول...؟

أنـــاتـــول: ما يُقال في هذا الظروف

جـــابريلا: الآن... قل لي مثالا!

أنـــاتـــول: لا أعرف أي مثال!

جـــابريلا: ماذا قالت بالأمس؟

أنـــاتـــول: آه - شيئا عاديا... يبدو ساذجا إذا لم تسمعيه برنين صوت قائله...!

جـــابريلا: أريد أن أتخيله الآن: والآن - ماذا قالت؟

أنـــاتـــول: ... «سعادتي في أنك بين يدي!».

جـــابريلا: «سعادتي.. - ثم ماذا؟!

أنـــاتـــول: «ها أنت ذا بين يدي!»...

جـــابريلا: ... جميل فعلا - جميل جدا! -

أنـــاتـــول: نعم... حار وصادق!

جـــابريلا: وهي... هل وحدها دائما؟ - هل تلتقيان دون إزعاج ؟!

أنـــاتـــول: آه ... أنا جعلتك تتأخرين! لا بد من أن تعودي لبيتك.

جـــابريلا: أجل - أجل! لعلهم في انتظاري! - لكن كيف

ننجز ولو الهدية فقط...؟

أنـــاتـــول: سوف أجد أي شيء بسيط...!

جـــابريلا: من يعلم، من يعلم! - لقد اعتقدت أنني سوف أصل معك لما تريده لصاحبتك... للشابة...!

أنـــاتـــول: والآن - إنها تعيش وحدها - بمفردها - دون أب أو أم... أو عمة أو خالة!

جـــابريلا: وأنت... كل شيء لها...؟

أنـــاتـــول: ... ربما... اليوم... (فترة صمت)

جـــابريلا: ... الوقت تأخر - أترى كيف صارت الشوارع فارغة...

أنـــاتـــول: لكن، أرجوك يا سيدتي الفاضلة!

جـــابريلا: كم كنت أتمنى أن أشهد إعطاءك إياها هدية عيد الميلاد!... وتشوقت لرؤية الحجرة الصغيرة، والشابة الحلوة ! ... التي لا تعرف كم هي محظوظة!

أنـــاتـــول: ...!

جـــابريلا: والآن، أعطني اللفائف - ! كم تأخر الوقت...

أنـــاتـــول: نعم، نعم! ها هي ذي - لكن...

جـــابريلا: أرجوك - لوّح بيدك لهذه السيارة المتجهة إلينا...

أنـــاتـــول: بهذه السرعة، وفجأة؟!

جـــابريلا: أرجوك، أرجوك! (يلوح للسيارة).
أشكرك...! لكن ماذا عن الهدية...؟ (السيارة

تتوقف، هو وهي يظلان واقفين، ثم يريد هو أن يفتح لها باب السيارة).

جـــابريلا: انتظر! - ... أنا أريد أن أرسل لها شيئا!

أنـــاتـــول: أنت...؟! يا سيدتي الفاضلة، أنت بنفسك...

جـــابريلا: لا شيء سوى هذا؟! - هنا... خذ... هذه الزهور... ببساطة هذه الزهور...! مجرد تحية، لا أكثر... لكن... عليك أن تقول لها شيئا على لساني.

أنـــاتـــول: سيدتي - كم أنت لطيفة -

جـــابريلا: عدني أن توصلها لها... مع الكلمات التي أريد أن أقولها لك -

أنـــاتـــول: بالتأكيد.

جـــابريلا: أتعدني؟ -

أنـــاتـــول: نعم، بكل سرور! ولم لا!

جـــابريلا: (فتحت باب السيارة): قل لها...

أنـــاتـــول: ماذا...؟

جـــابريلا: قل لها: هذه الزهور... يا جميلتي تهديها لك سيدة ربما تستطيع أن تحب مثلك ولكنها ليس لديها الجرأة على ذلك...

أنـــاتـــول: سيدتي... الفاضلة؟!...

جـــابريلا: (ركبت السيارة... السيارة انطلقت. صارت الشوارع شبه خالية من الناس - تابع السيارة بنظره وقتا طويلا حتى تخطت الناصية... وقف فترة، ثم نظر في ساعته وانطلق مسرعا).

(الستار)

المشهد الثالث:
حدث عابر

شخوص المشهد

- أناتول
- ماكس
- بيانكا

(حجرة ماكس، معتمة بوجه عام. لون الحائط وستارة الباب أحمر قاتم. باب يتوسط الخلفية. باب آخر على يسار المشاهد. مكتب كبير وسط الحجرة؛ يعلوه مصباح ذو غطاء، وفوقه كتب وأوراق. أقصى اليمين شباك مرتفع. اللهب يتعالى في الزاوية اليمنى من مدفأة أمامها مقعدا استرخاء منخفضان، بجوارهما حاجز مدفأة غير مثبت لونه أحمر قاتم).

ماكس (يجلس إلى المكتب، يدخن سيجارة ويقرأ خطابا): «عزيزي ماكس! ها أنا ذا قد عدت. ولعلك قرأت في الجريدة أن فرقتنا سوف تمكث هنا ثلاثة أشهر. الليلة الأولى مع الأصدقاء. سأكون لديك مساء اليوم ... بيبي ... بيبي ... أي بيانكا ...» وسوف أنتظرها (طرق على الباب) أيمكن أن تكون هي ...؟ تفضل!

أناتول: (يدخل متجهما، حاملا لفافة تحت ذراعه): مساء الخير!

ماكس: آه - ماذا جاء بك؟

أناتول: أبحث عن ملجأ لماضيَّ.

ماكس: ماذا عساي أن أفهم من هذا؟

أناتول (يعطيه اللفافة).

ماكس: ما هذا؟

أناتول: جئتك بماضي، بكل شبابي: ضعه عندك!

ماكس: بكل سرور. لكن لعلك توضح لي الموضوع أكثر من ذلك؟

أناتول: هل لي أن أجلس؟

ماكس: بالتأكيد. لكن لماذا أنت متأنق هكذا؟

أناتول (جلس): هل لي أن أشعل سيجارا؟

ماكس: ها هو ذا! خذ، إنه من تبغ هذا العام.

أناتول (يأخذ سيجارا من المجموعة المقدمة له ويشعله): آه - ممتاز!

ماكس (يشير إلى اللفافة التي وضعها أناتول على المكتب): وإذن ...؟

أناتول: شبابي هذا لم يعد له مكان في منزلي! سوف أهجر المدينة.

ماكس: آه!

أناتول: كدت أبدأ حياة جديدة. مما يوجب علي أن أكون حرا وبمفردي، ولهذا فأنا أتحرر من الماضي.

ماكس: هذا يعني أن لديك محبوبة جديدة.

أناتول: لا، بل فقط تركت القديمة مؤقتا ... (يقطع حديثه مشيرا إلى اللفافة) لديك، يا صديقي، أترك كل هذه اللعبة التافهة.

ماكس: تقول لعبة تافهة! لماذا لا تحرقها؟

أناتول: لا أستطيع.

ماكس: كالأطفال.

أناتول: لا، أبدا، هذا ما لديّ من إخلاص. لا أنسى أي

واحدة ممن أحببت، وإذا ما نبشت في هذه الخطابات والزهور وخصلات الشعر، طبعا لا بد من أن تسمح لي بزيارتك أحيانا من أجل النبش، سوف أرجع إليهن، ويعدن للحياة وأعشقهن من جديد.

ماكس: أنت تريد إذن أن تجعل من منزلي المسكين مكانا لعشيقاتك السابقات...؟

أناتول (لا يكاد ينصت إليه): تراودني أحيانا فكرة ... أن يأتي أمر قاطع ويعود بهن جميعا إليّ مجبرات؟ أن أستطيع بالسحر أن آتي بهن من اللاّشيء!

ماكس: لعل هذا اللاشيء ذو أنواع مختلفة.

أناتول: نعم، نعم ... تصور، أنا أردد هذه الكلمة ....

ماكس: ربما تجد ألفاظا أكثر تحديدا للمعنى ... مثل: ذوات الحب الوحيد!

أناتول: أناديهن إذن: «يا ذوات الحب الوحيد ...!» فيأتين جميعا؛ واحدة من بيت صغير بإحدى الضواحي، والأخرى من صالون زوجها ذي العظمة والبهاء ... وأخرى من غرفة الملابس في المسرح.

ماكس: ومتعددات الحب!

أناتول: متعددات الحب ؟ حسنا .... واحدة من محلات المودة.

مـــــاكس: وواحدة من بين أحضان حبيبها.

أنـــاتـــول: وواحدة من القبر ... وواحدة من هنا - وأخرى من هناك - والآن كلهن هنا.

مـــــاكس: من الأفضل ألا تتفوه بتلك الألفاظ، ويجوز أن تصبح تلك المجموعة غير مريحة، فربما وإن لم تعد واحدة منهن تحبك، فما زلن جميعا يغرن عليك.

أنـــاتـــول: كلامك حكيم جدا ... إذن كأنهن قد مِتن، الله يرحمهن.

مـــــاكس: لكن هذا يعني أن نجد الآن مكانا نواري فيه هذه اللفافة المعتبرة.

أنـــاتـــول: لا بد وأن تقسمها (يفتح اللفّة الكبيرة بشدة؛ فتظهر لفائف أخرى منمقة ذات أربطة).

مـــــاكس: آه!

أنـــاتـــول: كل شي جمعته بنظام جميل.

مـــــاكس: حسب الأسماء؟

أنـــاتـــول: لا. كل لفيفة عليها عنوان: بيت شعر، أو كلمة أو ملاحظة، وكلها تعيد كل ما حدث إلى ذاكرتي، دون أسماء مطلقا - لأن من الممكن أن كثيرات منهن يحملن الاسم نفسه، مثل «ماري»، أو «أنا».

مـــــاكس: دعنا نقرأ.

أنـــاتـــول: هل سأعرفكن جميعاً!... بعضكن هنا منذ سنوات دون أن أراكن.

مـــــاكس (ممسكا لفافة في يده، ويقرأ العنوان): «أيتها المثيرة بجمالها وسحرها وجموحها، دعيني أطوق قوامك بذراعي؛ وأقبّل عنقك، يا ماتيلدا، أيتها الحلوة الفاتنة!» أليس هذا هو الاسم؟ ماتيلدا!

أنـــاتـــول: نعم، ماتيلدا ... لكن ليس هذا اسمها، وعلى كل حال قد قبلت عنقها.

مـــــاكس: من كانت؟

أنـــاتـــول: لا تسأل! كانت بين ذراعي، وهذا يكفي.

مـــــاكس: فلندعنا من ماتيلدا، لتكن هذه اللفافة الهزيلة.

أنـــاتـــول: نعم، فليس بها سوى خصلة شعر.

مـــــاكس: ولا أي خطاب؟

أنـــاتـــول: آه، مَن هذه؟ لعل هذا كان يتطلب منها مجهودا فظيعا، وما كان عسانا أن نفعل لو أن كل النساء كتبن خطابات! دعنا إذن من ماتيلدا هذه.

مـــــاكس (يفعل مثل ماسبق): «جميع النساء سواء في كل اعتبار: يتطاولن فور ما ينكشف كذبهن».

أنـــاتـــول: نعم، صدقت!

مـــــاكس: مَن هذه؟ لفافة ذات وزن!

أنـــاتـــول: ثماني صفحات، كذب في كذب! ذهبت بلا عودة.

مـــــاكس: أكانت هي الأخرى متطاولة؟

أنـــاتـــول: فور ما رأيت هذا فيها، ألقيت بها جانبا.

مـــــاكس: فلنلق جانبا بهذه المتطاولة.

أنـــاتـــول: لا داعي للسب. فقد كانت يوما ما بين أحضاني

... مما يرفع قدرها.

مـــــاكس: سبب وجيه على الأقل. فلنواصل (يفعل مثل ما سبق) «حتى أُذهِب عن نفسي سوء المزاج، أفكر في عريسك، يافتاتي. ثم يأخذني الابتسام، ياروح قلبي. فما زال هناك ما يدعو للسخرية».

أنـــاتـــول: أناتول:(مبتسما) آه، إنها هي:

مـــــاكس: آه ... ماهذا؟

أنـــاتـــول: إنها صورة، هي وعريسها.

مـــــاكس: أتعرفه؟

أنـــاتـــول: طبعا، وإلا ما استطعت الضحك. إنه مغفل.

مـــــاكس (بجدية): ها هي ذي تعانقه؛ تعبده.

أنـــاتـــول: كفى.

مـــــاكس: فلندع هذه الحلوة الصغيرة التي تدعو للسخرية مع عريسها الأضحوكة (يأخذ لفافة جدية) ما هذا، كلمة واحدة؟

أنـــاتـــول: ما هي؟

مـــــاكس: «صفحة».

أنـــاتـــول: آه، إني أتذكر الآن.

مـــــاكس: هل كانت هي النهاية؟

أنـــاتـــول: لا، بل البداية.

مـــــاكس: هكذا! وهنا ... «تغيير اتجاه النار أيسر من إشعالها». ماذا تقصد؟

أنـــاتـــول: أقصد أنني غيرت اتجاه النار، التي أشعلها غيري.

مـــاكس: دعنا من النار ... «تأتي دائما ومعها معفصتها»[9]. (ينظر إلى أناتول متسائلا)

أنـــاتـــول: آه، كانت تأتي دائما ومعها معفصتها للطوارئ. لكنها كانت جميلة جدا. لم يبق لدي منها سوى أحد أنقبتها.

مـــاكس: آه، وهو الآخر خشن الملمس ... (يواصل قراءة عناوين اللفائف) «كيف فقدتك؟» ... والآن كيف فقدتها؟

أنـــاتـــول: لا أعلم، خرجت من حياتي فجأة، وأؤكد لك أن هذا ما يحدث أحيانا. مثلما ينسى المرء مظلته في مكان ما ولا يتذكرها إلا بعد عدة أيام ... وإذا به لا يعرف متى وأين فقدها.

مـــاكس: وداعا أيتها المفقودة ... (يفعل مثل ما سبق) «كم كنت حلوة ولطيفة».

أنـــاتـــول (ماضيا في أحلامه): «فتاة ذات أنامل وخازة».

مـــاكس: إنها كورا - إليس كذلك؟

أنـــاتـــول: نعم - أنت تعرفها.

مـــاكس: أتعرف كيف أصبحت؟

أنـــاتـــول: قابلتها فيما بعد - زوجة نجار كبير.

مـــاكس: حقا!

أنـــاتـــول: نعم، وتلك هي نهـــاية مطاف ذوات الأنامل الوخازة، يجدن الحبيب في المدينة والزوج في أحد ضواحيها ... يالهن من كنز!

مـــــاكس: مع السلامة - ! وما هذا؟ ... «حدث عابر» - أليس بها شيء؟ ... تراب!

أنـــاتـــول (يأخذ الخطاب): تراب - ؟ لقد كانت زهرة!

مـــــاكس: وما معنى: حدث عابر؟

أنـــاتـــول: لا شي؛ مجرد فكرة عابرة، كانت مجرد حدث عابر، رواية استغرقت ساعتين ... لا شيء! ... نعم، مجرد تراب! - أمر محزن ألا يتبقى من كل الجمال سوى التراب - أليس كذلك؟

مـــــاكس: نعم، بالتأكيد أمر محزن ... لكن كيف جاءك هذا العنوان؟ وكيف استطعت أن تكتبه هكذا في كل مكان؟

أنـــاتـــول: أصبت؛ فأنا إن نسيت لن أنسى ما كان، فغالبا إذا كانت معي واحدة أو أخرى، وخاصة أيام زمان، وقت ما كنت مغترا بنفسي، كان على لساني دائما: «يا صغيرتي - يا صغيرتي!».

مـــــاكس: كيف؟

أنـــاتـــول: بدا لي أنني واحد من عظماء الفكر. وهؤلاء الفتيات والنسوة ... سحقتهن أقدامي وهي تخطو على الأرض. قانون العالم لدي هو: «لا بد من أن أطيح بكن».

مـــــاكس: كنت إذن إعصارا عصف بالأزهار ... أليس كذلك؟

أنـــاتـــول: نعم! هكذا هبت عاصفتي ولذلك قلت منذ قليل:

يا صغيرتي، يا صغيرتي. لقد انخدعت بحق. وهأنذا اليوم أعلم أنني لست من العظماء، وأنني حزين - هذا ما رأيت. ولكن آنذاك!

ماكس: والآن، ما هو الحدث العابر؟

أناتول: كان فعلا هكذا ... إنسان قابلته في طريقي.

ماكس: وسحقته.

أناتول: كلما يعود لفكري يبدو لي وكأنني فعلا سحقته.

ماكس: آه:

أناتول: أصغ إلي! لقد كان أجمل ما عايشت... لا أستطيع أن أرويه لك.

ماكس: ماذا؟

أناتول لأنها كانت قصة في منتهى الاعتياد ... لا شيء ... جديد. لا تستطيع أن تميز ما هو جميل فيها، سر الموضوع كله أنني قد عايشته.

ماكس: ماذا بعد؟

أناتول: جلست أعزف على البيانو ... في الحجرة الصغيرة التي كنت أسكنها ... ولم أكن قد تعرفت على صاحبتنا إلا منذ ساعتين ... وكان مصباحي ذو اللونين الأخضر والأحمر مضيئا - ولعلي أذكر المصباح ذي اللونين؛ نظرا لما له من دور في قصتنا.

ماكس: ماذا بعد؟

أناتول: كنت جالسا للعزف على البيانو. وهي - جالسة

عند أقدامي لدرجة أني لا أستطيع الضغط على دواسة البيانو. رأسها على حجري، وشعرها الشعث يتألق تحت أضواء المصباح ذي اللونين الأخضر والأحمر، وبدأ تخريفي على البيانو، بيدي اليسرى فقط، أما اليمنى فألصقتها هي بشفتيها.

ماكس: ماذا بعد؟

أناتول: دائما سؤالك الشغوف «ماذا بعد»... وفي الحقيقة لا شيء بعد ذلك ... عرفتها ساعتين، وعلمت أيضا أنني لن أراها مرة أخرى بعد هذه الليلة مما جعلني أشعر بحبها الجنوني لي ... هل تفهمني؟ (ماكس يومي برأسه)، ثم عاودتني تلك الأفكار الحمقاء المتعالية لذاكرتي. لقد انقضى كل شيء بالفعل. وكانت واحدة من هؤلاء اللاتي وجب علي أن أتجاهلهن. لكن حضرتني الكلمتان، الكلمتان الجافتان: حدث عابر. هكذا أصبحت أنا نفسي شيئا خالدا ... وعلمت أيضا أن الصغيرة المسكينة لن تستطيع قط أن تجعل هذه الساعة تبرح ذهنها ... وهذا ما أدركته في تلك الساعة ذاتها. غالبا ما يشعر المرء بأنه غدا سوف ينسى كل شيء. لكن الوضع اختلف هنا. حيث كنت لهذه الفتاة، الجالسة عند أقدامي، عالما قائما بذاته، وجاءني شعور بما أحاطتني به في هذه اللحظة من حب خالد رهيب.

شعور لن يسلبني أحد إياه. وبالتأكيد هي لم تستطع في ذلك الحين أن تفكر في أحد غيري - أنا فقط. أما هي فصارت بالنسبة لي: شيء ماضٍ، مجرد حدث عابر.

ماكس: من هي إذن؟

أناتول: من هي؟ أنت تعرفها، قابلناها معا في حفلة مرحة، وكنت أنت تعرفها من قبل، كما قلت لي آنذاك.

ماكس: من هي؟ فأنا أعرف الكثيرات. وأنت صورتها تحت ضوء مصباحك كشخصية أسطورية.

أناتول: إلا أنها لم تكن كذلك في حياتها العملية. هل تعرف وظيفتها؟ في الحقيقة أنني الآن أقلل من قيمتها.

ماكس: لقد كانت إذن؟

أناتول (مبتسما): كانت ... من ... من.

ماكس: من المسرح؟

أناتول: لا - بل من السيرك.

ماكس: هل يمكن تصديق هذا؟

أناتول: نعم ... إنها بيانكا. وحتى الآن لم أقل لك أنني قابلتها مرة أخرى - بعد تلك الليلة، التي شهدت إهمالي لها.

ماكس: وهل تعتقد بحق أن «بيبي» قد أحبتك؟

أناتول: نعم، كدت أقول لك! تقابلنا صدفة بعد هذه الليلة بثمانية أو عشرة أيام في الطريق ... وفي

صباح اليوم التالي كان عليها أن تسافر مع كل فرقتها إلى روسيا.

ماكس: وبلغتما إذن ساعة الذروة.

أناتول: هذا ما توقعته؛ الآن قد مرّت كل القصة أمامك. ولم تصل بعد للسر الحقيقي للحب.

ماكس: وكيف انكشف لك لغز المرأة؟

أناتول: في الجو المحيط.

ماكس: آه ... أنت اعتمدت إذا على الضوء الخافت، والقنديل ذي اللونين الأخضر والأحمر ... وعزفك على البيانو.

أناتول: نعم، هو ذلك، وهذا ما جعل لي الحياة متنوعة وثرية التغير بدرجة جعلت لونا واحدا يبدل لي العالم بأسره، ومن تكون هذه الفتاة، بالنسبة لك ولألف غيرك، بشعرها الشعث، وهذا المصباح، الذي ينال سخريتك! مجرد خيّالة سيرك، ولا شيء سوى الزجاج ذي اللونين الأخضر والأحمر ووراءه الضوء! ببساطة أنتم تختفي لديكم الذكريات الساحرة؛ وتبدون أحياء وأنتم أموات بحق، تدخلون المغامرات، بوحشية، وعيون مفتوحة وعقل مغلق، ويظل كل شيء أمامكم بلا لون! لكن، من روحي، مني أنا تنبعث ألاف الأضواء بمختلف الألوان، الوصول للشعور، بينما تنحصرون أنتم ... على التلذذ!

مـــــاكس: إنها (مشاعرك)، منهل حقيقي لسحر الانتشاء. فيها يغوص كل من أحبك منهن ويأتينك منها بعبق فريد للمغامرات والعجائب، وأنت تتنشي به.

أنـــاتـــول: اعتبرها هكذا، إن شئت.

مـــــاكس: والآن من حيث خيّالة السيرك، سوف يتعذر عليك أن تشرح لي، كيف وجب عليها أن تأتيها مشاعرك نفسها، تجاه القنديل ذي اللونين الأخضر والأحمر.

أنـــاتـــول: ما كان علي إلا أن أشعر بإحساسها وهي من بين أحضاني!

مـــــاكس: أنا أيضا عرفت بيانكا، التي تخصك حاليا، لكن أكثر منك.

أنـــاتـــول: أكثر؟

مـــــاكس: أكثر، لإننا لم نقع في الحب. لم تكن بالنسبة لي فتاة أسطورية، بل مجرد واحدة من الآف اللعائب، اللاتي يعود بهن خيال أحد الغارقين في أحلامهم إلى العذرية من جديد. بالنسبة لي، هناك مئات أخريات يتفوقن عليها في القفز عبر الأطواق أو أخيرا في رقصة الكَدريل[١٠] بمآزرهن القصيرة.

أنـــاتـــول: هكذا ... هكذا...

مـــــاكس: إنها لم تكن شيئا سوى هذا. لم أتغافل عن شيء فيها، بل أنت رأيت ما ليس فيها. من نفسيتك

ذات الحياة الغنية والجميلة، أدخلت ما لديك من شباب وحماس خياليين في قلبها الخاوي، وما انعكس أمامك سوى بعض من أضوائك.

أناتول: لا. لقد حدث لي هذا في بعض الأحيان. لكن ليست هذه المرة. لم أرد أن أجعلها أفضل مما هي عليه. ولم أكن الأول أو الأخير ... لقد كنت ...

ماكس: ماذا كنت؟ واحد من كثيرين. وحالها بين أحضانك كحالها بين أحضان الآخرين. هي المرأة في لحظة ذروتها!

أناتول: لماذا أبحث لك؟ إنك لم تفهمني.

ماكس: آه، كلا. لقد أسأت فهمي. أردت فقط أن أقول إن قمة ما وجدت من انتشاء معها، وصلت هي إليه مرارا من ذي قبل. أليس للعالم عندها ألف لون؟

أناتول: أتعرفها إلى هذه الدرجة الفائقة؟

ماكس: نعم، كنا نتقابل غالبا في الحفلة المرحة، التي كنت معي فيها ذات مرة.

أناتول: وهل كان هذا كل شيء؟

ماكس: كل شيء، كنا حقا أصدقاء. كانت ذات نكتة، وكم أسعدنا التسامر معا.

أناتول: وهل كان هذا كل شيء؟

ماكس: كل شيء.

أناتول: ... وعلى الرغم من هذا ... أحبتني.

مـــــاكس: ألن نواصل قراءتنا ... (يأخذ لفافة) «آه لو علمت ما تعنيه ابتسامتك، يا ذات العيون الخضراء».

أنـــاتـــول: ... بالمناسبة، هل عرفت أن كل فرقة السيرك عادت هنا مرة أخرى؟

مـــــاكس: من المؤكد. هي أيضا.

أنـــاتـــول: من الأرجح.

مـــــاكس: بل بكل تأكيد. وسوف ألقاها مساء اليوم.

أنـــاتـــول: كيف؟ أنت؟ هل تعرف أين تسكن؟

مـــــاكس: لا. كتبت إلي؛ وسوف تزورني.

أنـــاتـــول (يقوم فجأة من مقعده): كيف؟ ولم تخبرني بذلك إلا الآن فقط؟

مـــــاكس: وما شأنك وهذا؟ أنت تريد أن تكون «حرا وحيدا»!

أنـــاتـــول: كلا!

مـــــاكس: لا شيء أصعب من إشعال نار الهوى.

أنـــاتـــول: هل تقصد؟

مـــــاكس: أقصد أن تضع في حسبانك أنك ستلقاها.

أنـــاتـــول: لأنها ستعود إلي بالخطر من جديد؟

مـــــاكس: لا، لأن الجميل هو ما كان. اذهب إلى بيتك بذكرياتك الحلوة. وإن كان، فلا عودة لما كان.

أنـــاتـــول: لعلك لست جادا إن اعتقدت بأنني سوف أتنازل عن هذا اللقاء الذي جاءني بهذه السهولة.

مـــــاكس: إنها أكثر ذكاء منك. لم تكتب إليك ... ربما فقط لأنها قد نسيتك.

أنـــاتـــول: هراء.

مـــــاكس: أترى هذا مستحيلا؟

أنـــاتـــول: إنه يثير سخريتي.

مـــــاكس: لا تشرب الذكريات لدى الجميع من إكسير الحياة، الذي منح نظيراتها عندك نضارة خالدة.

أنـــاتـــول: آه ... تلك الساعة الماضية!

مـــــاكس: والآن؟

أنـــاتـــول: كانت إحدى الساعات الخالدة.

مـــــاكس: أسمع خطى في المدخل.

أنـــاتـــول: ها هي ذي أخيرا.

مـــــاكس: اذهب! اخرج عبر حجرة نومي.

أنـــاتـــول: لقد كنت مغفلا.

مـــــاكس: اخـــرج ... أنت لا تريد أن تتـــرك الذكـــريات الساحرة تتحطم.

أنـــاتـــول: سوف أبقى (دقات على الباب)

مـــــاكس: اذهب! ... أسرع!

أنـــاتـــول (يهز رأسه رافضا).

مـــــاكس: إذا تعال. هنا جانبا حتى لا تراك على الأقل فور دخولها ... هنا ... (يدفع به تجاه المدفأة حتى أصبح غطاء المصباح يحجبه إلى حد ما).

أنـــاتـــول (يسند ظهره على رف المدفأة): ليكن. (دقات على الباب).

مـــــاكس: ادخل!

بيـــانكا (تدخل بنشـاط): مـسـاء الخـيـر، يا صـديقي الحبيب، هأنذا مرة أخرى.

مـــاكس (مـادا يديه إليـهـا): مـسـاء النور، يا صـديقـتي بيانكا، زيارة جميلة منكِ، فعلا جميلة!
بيانكا وصلك خطابي؟ أنت الأول ... بل والوحيد.

مـــاكس: لك أن تتصوري، كم أنا فخور بذلك.

بيـــانكا: وما أخبار الآخرين؟ مجموعتنا في فندق زاخر؟ هل ما زالت كما هي؟ وهل سنجتمع كل ليلة بعد العرض؟

مـــاكس (يساعدها في خلع معطفها): ولكن كم من ليال، لم نجدك فيها.

بيـــانكا: بعد العرض؟

مـــاكس: نعم، حيث اختفيت بعد العرض مباشرة.

بيـــانكا (مبتسمة): آه ... طبعا ... جميل أن يسمع المرء هذا الكلام من أصدقائه، من دون الحد الأدنى من الغيـرة! وعلى المرء أن يحظى بواحد مـثلك من هؤلاء.

مـــاكس: طبعا، طبعا من الواجب.

بيـــانكا: ألاّ تعذب من تحب؟

مـــاكس: نادرا ما فعلتِ هذا.

بيـــانكا (ترى ظل اناتول): أنت لست وحدك.

أنـــاتـــول (يظهر وينحني للتحية).

مـــاكس: معرفة قديمة.

بيـــانكا (ترفع نظارة بيد لعين واحدة): آه ...

أنـــاتـــول (يقترب): الآنسة ...

مـــاكس: ماذا تقولين مع هذه المفاجأة ... يا بيبي؟

بيـــانكا (مرتبكة إلى حد ما؟ تبدو كأنها تبحث في ذاكرتها): آه حقا، نحن نعرف بعضنا البعض ...

أنـــاتـــول: بالتأكيد ... يا بيانكا.

بيـــانكا: بالطبع، معرفة ممتازة...

أنـــاتـــول (مضطربا يمسك بيديه الاثنتين يدها اليمنى): بيانكا ...

بيـــانكا: فقط أين؟ أين تقابلنا ... فقط أين ... آه!

مـــاكس: أتتذكرين...؟

بيـــانكا: طبعا ... هل في سان بطرسبورج [11] ...؟

أنـــاتـــول (يترك يدها بسرعة): لم تكن بطرسبورج ... يا آنستي ... (يغير إتجاهه ليخرج من المكان).

بيـــانكا (بخوف توجه حديثها إلى ماكس): ماذا به؟ ... هل أهنته؟

مـــاكس: ها هو ذا ينسحب... (أناتول يخرج من الباب ويختفي في الكواليس).

بيـــانكا: نعم، ولكن ماذا يعني هذا؟

مـــاكس: ألم تتعرفي عليه من قبل؟

بيـــانكا: نعم، نعم... تعرفت عليه. لكنني فعلا لا أعلم أين ومتى؟

مـــاكس: إنه أناتول، يا بيبي!

بيـــانكا: أناتول؟ ... أناتول...؟

ماكس: أناتول - البيانو - المصباح ... ذو اللونين؛ الأحمر والأخضر ... هنا في المدينة - منذ ثلاث سنوات ...

بيانكا (تنطح يدها برأسها تعبيرا عن الندم): أين عيناي إذا؟ أناتول! (تتجه نحو الباب) لا بد أن أناديه ليعود ... (تفتح الباب) أناتول! (تخرج، وتقف وراء الكواليس، عند بداية السلم) أناتول! أناتول!

ماكس (يقف مبتسما، ثم يتبعها حتى الباب): والآن؟

بيانكا (تدخل): لا بد من أن يكون الآن في الشارع. بعد إذنك! (تسرع وتفتح الشباك) ها هو ذا يسير في الشارع.

ماكس (خلفها): نعم. إنه هو.

بيانكا (تنادي): أناتول!

ماكس: لم يسمعك.

بيانكا (تضرب الأرض بقدمها في هدوء): للأسف ... لا بد من أن تقدم اعتذاري له، لقد جرحته، هذا الإنسان الطيب، اللطيف.

ماكس: أنت مازلت إذن تذكرينه؟

بيانكا: نعم، بالتأكيد. لكن ... هذا التشابه بينه وبين رجل آخر في بيترسبورج قد خلط علي الأمر.

ماكس (مهدئا لها): سوف أقول له.

بيانكا: هذا إلى جانب أن المرء إذا ما ظل لا يفكر في شخص ما ثلاث سنوات، ثم إذا به فجأة أمامه... فلن يستطيع أن يتذكر عنه كل شيء.

ماكس: سوف أغلق الشباك. هواء بارد يدخل منه (يغلق الشباك).

بيانكا: لعلي آراه أثناء وجودي هنا؟

ماكس: ربما. لكنني أريد أن أريك شيئا (يأخذ الظرف من فوق المكتب ويقدمه لها).

بيانكا: ما هذا؟

ماكس: إنها الزهرة التي أعطيته إياها في تلك الليلة... تلك الليلة.

بيانكا: هل احتفظ بها؟

ماكس: كما ترين.

بيانكا: لقد أحبني إذن!

ماكس: حبا جما، خالدا، بلا حدود، مثل حبه لكل هؤلاء (يشير إلى اللفافة).

بيانكا: كيف ... كل هؤلاء! ... وما هذا؟ أهي مجرد زهور؟

ماكس: زهور، وخطابات، وخصلات شعر، كنا نقوم بترتيبها.

بيانكا (بنبرات غاضبة): تحت عناوين مختلفة.

ماكس: نعم، كما يبدو أمامك.

بيانكا: وفي أي منهن أكون أنا؟

ماكس: أعتقد ... في هذه! (يلقي المظروف في المدفأة).

بيانكا: ما هذا!

ماكس (مخاطبا نفسه بصوت منخفض): إنني أثأر لك بقدر

ما أستطيع، يا صديقي أناتول ... (بصوت عال) هكذا، والآن لا تغضبي ... اجلسي هنا بجانبي، واحكي لي بعضا مما كان في السنوات الثلاث الأخيرة.

بيانكا: أين أجد المزاج! وهذه المقابلة كانت في انتظاري!.

ماكس: إلا أنني صديقك ... هيا يا بيانكا ... احكي لي!

بيانكا (تجلس في المقعد بجوار المدفأة): عن ماذا؟

ماكس (يجلس في المقعد الآخر أمامها): مثلا ... عن من كان «يشبهه» في بطرسبورج.

بيانكا: كم أنت سمج!

ماكس: إذن ...

بيانكا (مغتاظة) لكن ماذا أحكي؟

ماكس: ابدئي فقط بـ ... يحكى أن ... يحكى أنها مدينة كبيرة جدا جدا...

بيانكا (معكننة): وكان فيها سيرك كبير جدا جدا ...

ماكس: وكانت فيه فنانة صغيرة جدا جدا.

بيانكا: قفزت من طوق كبير جدا جدا .. (تضحك بصوت منخفض).

ماكس: أترين ... ها هي ذي البداية! (بدأ نزول الستار ببطء شديد) وفي إحدى المقصورات ... دائما ...

بيانكا: في إحدى المقصورات جلس أحدهم كل مساء ... في إحدى المقصورات جلس كل مساء هذا الوسيم جدا جدا ... آه!

ماكس: والآن ... الآن ...؟

(نزل الستار)

المشهد الرابع:
أحجار كريمة للذكرى

شخوص المشهد

- أناتول
- إميليا

(حجرة إميليا بأثاثها الأنيق الرزين. وقت الغروب. النافذة مفتوحة وتطل على حديقة عامة؛ حيث تصل قمة إحدى الأشجار إلى فتحة النافذة، إلا أنها تكاد تكون غير مكتسية بالأوراق).

إميليا: ... آه... أأجدك هنا! وعلى مكتبي...؟ آه، ماذا تفعل إذن؟ أتفتش في أوراقي؟... يا أناتول!

أناتول: إنه من حقي المشروع... ولي أن أمارسه.

إميليا: والآن... ماذا وجدت؟ خطاباتك الخاصة...؟

أناتول: ماذا تقولين؟... وما الذي هنا؟

إميليا: هنا...؟

أناتول: هذان الحجران الكريمان الصغيران...؟ هذا الياقوت الأحمر، والآخر الغامق؟ لا أعرفهما، لم يأتياك مني...!

إميليا: ... كلا... بل... نسيت.

أناتول: نسيت؟... وهما تحت الحفظ والصون في أركان هذا الصندوق المدفون في القاع؟... من الأفضل أن تعترفي حالا، بدلا من أن تكذبي مثلهن جميعا... إذن... أنت لا تنطقين؟... آه، إباء رخيص... من السهل ألا ينطق كل مذنب ملعون... لكنني أريد أن أواصل بحثي الآن. أين خبأت حُليَّك الأخرى؟

إميليا: ليس لدي سواهما.

أناتول: والآن... (بدأ يفتح الصناديق بعنف)

إميليا: لا تبحث... أقسم لك أنه ليس لدي أي شيء آخر.

أناتول: وهذا هنا... لماذا هذا هنا؟

إميليا: ربما أخطأت... ربما...

أناتول: ربما... يا إميليا! وقد أردت أن تصبحي غدا زوجتي. واعتقدت أنا بحق بأن كل ما كان قد انمحى... معا جمعنا الخطابات واللفائف وألفا من التفاهات التي تذكرنا بما مر من وقت، لم يكن فيه كل منا يعرف الآخر... معا ألقينا بكل هذا في نار المدفأة... والأساور والخواتم والحلقان... أهديناها وألقينا بها من فوق الكوبري في النهر، ومن الشباك في الشارع... لقد جلست هنا أمامي وأقسمت لي... «كل شيء مضى... ولم أعرف الحب إلاّ بين أحضانك...» وبالطبع أنا صدقتك... لأننا نحن الرجال نصدق كل ما تقوله النساء لنا، نصدقهن من أول أكذوبة تُدْخِل علينا السعادة...

إميليا: هل لي أن أقسم لك من جديد؟

أناتول: وما الفائدة؟... لقد انتهى... انتهى ما بيننا... آه، كم أجدتِ التمثيل! كأنك تلهفت لإزالة كل بقع ماضيك، فوقفت هنا حتى خمدت نيران الأوراق واللفائف والتحف... وخرجنا سعداء للنزهة على ضفاف النهر، وألقينا كل الأساور الغالية في الماء العكر، وسرعان ما غرقت... ونشجت أنتِ

بالبكاء بين ذراعي... هكذا سالت منكِ دموع الندم التي تطهر من الذنوب... فكاهة غبية؟ أترين، كيف كان كل شيء هباء؟ كيف عاودني الشك؟ كيف حق لي أن أفتش هنا؟... ما لكِ لا تنطقين؟... لماذا لا تدافعين عن نفسك؟...

إميليا: لأنك تريد أن تهجرني.

أناتول: لكنني أريد أن أعرف، عَلاَم يدل هذان الحجران... لماذا احتفظت بهما؟

إميليا: ألم تعد تحبني...؟

أناتول: إنها الحقيقة، يا إميليا... وأريد أن أعرفها!

إميليا: لماذا، وأنت لم تعد تحبني.

أناتول: ربما تحوي الحقيقة شيئا ما.

إميليا: وما هو؟

أناتول: ما يجعلني أفهم... أفهم السبب... أتسمعين، يا إميليا... لم تعد نفسي تطيق... أنت خبيثة!

إميليا: أتسامحني؟

أناتول: عليك أن تخبريني ماذا تعني هذه الأحجار!

إميليا: وتريد بعد ذلك أن تسامحني؟

أناتول: ماذا يعني هذا الياقوت، ولماذا تحتفظين به؟

إميليا: وسوف تنصت إليّ بهدوء؟

أناتول: ... نعم!... لكن تكلمي أخيرا.

إميليا: ... هذا الياقوت... كان في المِيدالية كبيرة... ثم... وقع منها...

أنـــاتـــول: وممن كانت هذه الميدالية الكبيرة؟

إمـــيليـــا: ليس هذا هو الموضوع... المهم فقط أنني... في يوم ما... - علّقت هذا الياقوت في سلسلة... كانت على رقبتي.

أنـــاتـــول: مَنْ أعطاكِ إياه؟!

إمـــيليـــا: سيّان... أعتقد أنه من والدتي... أترى، لو أنا خبيثة، كما تعتقد، لقلت لك أنني احتفظت به لأنه من والدتي، وكنت ستصدقني... لكنني احتفظت بهذا الياقوت لأنه... في يوم ما وقع من ميداليتي، وذكراه عزيزة عليّ...

أنـــاتـــول: ... أكملي!

إمـــيليـــا: آه، كم سيريحني إن استطعت أن أروي لك مما كان، لكن، قل لي، ألن تهزأ مني إذا أنا غرت من حبك؟

أنـــاتـــول: ماذا تقصدين؟

إمـــيليـــا: بالطبع ذكراه جميلة، ذكرى تبدو لنا لطيفة... ثم... يا له من يوم مهم، جاءني فيه هذا الشعور الذي ربطني بك. آه، لا بد وأن يتعلم المرء الحب، حتى يستطيع أن يحب، مثلما أحبك!... ماذا لو تقابلنا في وقت لم نكن نعرف فيه الحب، مَنْ يعلم، ربما مر كل منا بالآخر مرور الكرام؟ آه، لا تومئ برأسك، يا أناتول، هذه هي الحال، وهذا ما قلته بنفسك ذات مرة...

أنـــاتـــول: أنا بنفسي...؟

إميليا: ربما من الأفضل، هكذا - قلت - إنه قد وجب على كل منا أن يدرك قمة هذه المعاناة.

أناتول: نعم... لدينا دائما مثل هذا العزاء، إذا ما أحببنا امرأة ساقطة.

إميليا: إذن سأكون صريحة معك، هذا الياقوت ذكرى يوم...

أناتول: ... تكلمي... تكلمي...

إميليا: - أنت تعرف بالفعل... نعم... يا أناتول... إنها ذكرى ذلك اليوم... آه... كنت غبية... في السادسة عشرة من عمري!

أناتول: وهو في العشرين... وضخم وأسمر!

إميليا: (ببراءة): لا أعرف أكثر من هذا، يا حبيبي... لا أتذكر سوى الغابة التي احتضنتنا في يوم الربيع المبتسم فوق الأشجار... آه، وأتذكر أشعة الشمس الآتية عبر الأغصان، وتلألؤها على مجموعة من الزهور الصفراء.

أناتول: وانتِ لا تلغين هذا اليوم، الذي أخذكِ مني، قبل أن أعرفك؟

إميليا: ربما أعطاني لك...! لا، يا أناتول... على أي حال لن ألعن هذا اليوم، وأستنكف أن أنكر ما فعلت... أنت تعرف، يا أناتول، لم أحب أحدا مثلك - ولم يحبك أحد مثلي... لكن حتى وإن صارت، تلك الساعة التي عايشت فيها قبلتك

الأولى، بلا أهمية - وزال من ذاكرتي هذا الرجل الذي قابلته - هل أستطيع حينئذ أن أنسى هذه اللحظة التي أشعرتني بأنوثتي؟

أناتول: أتزعمين أنكِ تحبينني؟

إميليا: لا أكاد أتذكر ملامح وجه هذا الرجل، ولم أعد أعرف عمّا كانت تنم نظراته.

أناتول: لكنكِ لا تستطيعين أن تنسي كيف أطربتكِ تنهيدات الحب الأول بين أحضانه... وكيف فاض قلبه دفئا على قلبك، حتى جعل من فتاة لا تفقه شيئا أنثى مطلعة، أيتها الوفيّة، إنكِ لا تتكرين الجميل! إنكِ لا تدركين أن اعترافك هذا لا بد من أن يأتيني بالجنون، وانكِ فجأة أقلقتِ الماضي الكامن!... هأنذا أراكِ من جديد تستطيعين وأنا أقبلك أن تحلمي بقبلات أخرى، وتغلقي عينيك بين أحضاني، ربما لتظهر أمامك صورة غير صورتي!

إميليا: كم تسيء فهمي!... ولعلك قد أصبت حين رأيت أننا لا بد من أن نفترق...

أناتول: وإن كان... كيف عساي أن أفهمك إذا...؟

إميليا: كم هن في حال يُحسدن عليها هؤلاء النساء اللاتي يستطعن الكذب. لا... إنكم لا تتحملون الصدق...! قل لي فقط! لماذا كنت دائما تسألني الصدق؟ وتقول: «سأغفر لكِ كل شيء، إلاّ

الكذب»... مازلت أسمعك ترددها... وأنا... أنا التي باحت لك بكل شيء، وأقلّت من قدرها، بل وجعلت نفسها حقيرة أمامك، وصاحت في وجهك قائلة: «يا أناتول، إنني ساقطة، لكنني أحبك...!» ولم تأت على لساني واحدة من تلك الأعذار الغبية التي تنتحلها أفواه الأخريات... لكني أقولها الآن: يا أناتول! لقد أحببت نعيم الحياة، يا أناتول! لقد كنت حادة الطبع وعاشقة للذّات - بعت نفسي وأهديتها - أنا لا أستحق حبك... وهل تتذكر أيضا أنني قلت لك هذا قبل أن تقبّل يدي للمرة الأولى؟... نعم، أردت أن أهرب منك، لأنني أحببتك، وأنت تعقبتني... وسألتني الحب... لأني لم أجرؤ على أن أدنّس هذا الرجل الذي نال من فؤادي ما لم ينله سواه كما وكيفا... آه الرجل الأول الذي أحببته...! وهكذا أخذتني من كل ما كان، وصرت لك!... كم تملكتني الرهبة والارتجاف والبكاء... إلاّ أنك سموت بي شيئا فشيئا أعدت لي كل ما سلبوني إياه... كنت بين ذراعيك الشديدتين، ما لم أكنه من قبل: نقية... سعيدة... لقد كنت عظيما... واستطعت أن تعفو... والآن...

أناتول: والآن...؟

إميليا: والآن تلقي بي جانبا، فقط لأن شأني شأن الأخريات

أنـــاتـــول: لا... أنتِ لستِ هكذا.

إمـــيـلـيـــا (باستعطاف): ماذا تريد إذن... أيجب عليّ أن أرميه جانبا... هذا الياقوت...؟

أنـــاتـــول: آه، أنا لست من العظماء،... بل تافه جدا جدا... ارمي هذا اليـــاقـــوت... (يتـــأمله) وقع من الميـــداليـــة... فـــوق النجـــيل، تحت الزهور الصفراء... نزلت عليه أشعة الشمس... تلألأ... (صمت طويل) تعالي يا إميليا... الليل أظلم، لنتنزه في الحديقة...

إمـــيـلـيـــا: أليس المكان شديد البرودة...؟

أنـــاتـــول: كلا، بل مُعبق بشذا الربيع...

إمـــيـلـيـــا: كما تشاء يا حبيبي!

أنـــاتـــول: آه وهذا الحجر...

إمـــيـلـيـــا: آه، هذا...

أنـــاتـــول: نعم، هذا الأسود هنا... ما أمره... ماذا...؟

إمـــيـلـيـــا: أتعرف، ما هذا الحجر...؟

أنـــاتـــول: والآن.

إمـــيـلـيـــا (بنظرة طمع متعاظمة): ماس أسود!

أنـــاتـــول (ينهض): آه!

إمـــيـلـيـــا (ملقية بصرها إلى الحجر): نادر!

أنـــاتـــول (بغضب مكبوت): لماذا... آه... لماذا تحتفظين به؟

إمـــيـلـيـــا (نظرها مركز دائما على الحجر فقط): إنه... إنه يساوي ربع مليون!...

أنـــاتـــول (يصيح): آه!... (يلقي بالحجر في المدفأة)

إمـــيـلـيـــا (تصيح): ماذا تفعل!... (تنحني وتأخذ ملقط الفحم، وتحركه وسط الجمر بحثا عن الحجر).

أنـــاتـــول (ينظر إليها ثواني، وقد توهجت وجنتاها وهي راكعة أمام نار المدفأة، ثم يهدأ): ساقطة! (يذهب).

(الستار)

المشهد الخامس:
عشاء الوداع

شخوص المشهد

- أناتول
- ماكس
- أنِّي
- الجرسون

(مقصورة في فندق «زاخر». أناتول عند الباب معطيا أوامره للجرسون. ماكس مسترخيا على الأريكة).

مـــاكس: آه... لعلك كدت أن تنتهي؟

أنـــاتـــول: ... حالا، حالا! كل شيء واضح (الجرسون ينصرف).

مـــاكس: (هو وأناتول يعودان إلى منتصف الحجرة): وإذا لم تأت؟!

أنـــاتـــول: ولِمَ لا!... الآن، الساعة الآن العاشرة! ويمكن ألاَّ تكون قد أتت حتى الآن!

مـــاكس: لكن الباليه انتهى منذ فترة طويلة!

أنـــاتـــول: أرجوك... حتى تزيل الماكياج وتغير ملابسها!... إلى جانب أنني أريد... انتظارها!

مـــاكس: لا تدلّلها!

أنـــاتـــول: أدلّلها؟! ... ليكن في علمك...

مـــاكس: أعلم، أعلم أنك تعاملها بخشونة... إذا لم تكن تلك الخشونة نوعا من التدليل.

أنـــاتـــول: أردت أن أقول غير ذلك تماما! - آه... ليكن في علمك...

مـــاكس: قل إذن...

أنـــاتـــول: إنني أشعر بابتهاج شديد!

مـــاكس: أي إنك، في النهاية، تريد أن تخطبها؟

أنـــاتـــول: لا... أبعد من هذا بكثير!

مـــاكس: ستتزوجها غدا؟

أنـــاتـــول: لا، كم تهتم بالظاهر!... وكأنه ليس هناك ابتهاج

داخلي للنفس، لا علاقة له بكل التفاهات الخارجية.

ماكس: إذن، أنت اكتشفت إحدى خبايا عالمك العاطفي، كيف؟ وكأنها ستفهم ولو بعضه!

أناتول: أنت تخمن بلا مهارة، بمنتهى البساطة أنا أحتفل... بالنهاية!

ماكس: آه!

أناتول: عشاء الوداع!

ماكس: إذن... ما دوري في هذا؟

أناتول: يا حبذا لو أغمضت عينيك اليوم عن حبنا!

ماكس: أرجوك، لاداعي لهذه التشبيهات المبتذلة!

أناتول: منذ ثمانية أيام وأنا أؤجل هذا العشاء.

ماكس: إذن سيكون لديك اليوم، على الأقل، شهية جيدة...

أناتول: هذا يعني... أنا وهي تناولنا العشاء معا كل ليلة... في هذه الأيام الثمانية - لكنني - لم أجد الكلمة، الصائبة! لم أجرؤ... ولك أن تتصور، كم يثير هذا الأعصاب!

ماكس: لِمَ تحتاجني إذن؟! هل عليّ أن ألقنك تلك الكلمة.

أناتول: عليك أن تكون معي في كل الأحوال، عليك أن تقف إلى جانبي، إذا لزم الأمر، عليك التلطيف، التهدئة، التوضيح.

ماكس: ألا تحب أن تخبرني أولا لماذا كل هذا؟

أناتول: بكل سرور... لأنها أملّتني!

مـــــاكس: أي أن هناك واحدة أخرى سوف تسلّيك؟

أنـــاتـــول: نعم...!

مـــــاكس: آه... آه...!

أنـــاتـــول: وماذا عساها أن تكون!

مـــــاكس: إيقاع؟!

أنـــاتـــول: بلا أي إيقاع!... شيء جديد - شيء فريد!

مـــــاكس: آه... إيقاع لا يصل إليه المرء إلا قبل نهاية النوتة الموسيقية بقليل...

أنـــاتـــول: تصوّر فتاة - ماذا عساي أن أقول... ذات إيقاع ٤/٣[١٢].

مـــــاكس: ما زلت تبدو متأثرا بالباليه!

أنـــاتـــول: نعم... إنني لا أستطيع الآن أن أفيدك... إنها تدفع إلى ذاكرتي فالس فيننا البديع مرح رقيق... ألم ظريف ذو ابتسام.. هكذا تكون ذاتها... صغيرة وحلوة وشقراء... هكذا... كما ترى، الوصف صعب! مع مَنْ تكون... إذا جئتها بباقة من البنفسج، تكاد الدموع تنساب من عينيها.

مـــــاكس: حاول مرّة بسوار!

أنـــاتـــول: ... آه، يا عزيزي هذا لا يليق في حالتنا، لقد اختلط عليك الأمر، صدقني...أفضل مكان تنال فيه راحتها هو حانة أحد الضواحي - حيث أوراق الحائط الباهتة، ويشغل المنضدة المجاورة

لك صغار الموظفين! في الليالي الأخيرة كنت معها دائما في مثل هذه الحانة.

ماكس: كيف؟ وقد قلت لي أنك كنت مع «أنِّى».

أناتول: نعم، فعلا كنت معها. ففي الأسبوع الماضي وتعين عليّ العشاء مرتين كل ليلة: أردت في الأولى أن أكسب إحداهن وفي الثانية أن أتخلّص من الأخرى... إلاّ أنني للأسف لم أنجح لا في هذا ولا في ذاك.

ماكس: هل تريد نصيحتي؟ خذ أنِّى في الحانة، والجديدة الشقراء في فندق «زاخر»[١٣]... وربما بعد ذلك تسير الأمور معك!

أناتول: مشكلتك في الموضوع أنك لم تعرف الجديدة بعد. إنها البساطة بذاتها!، آه، قلت لك... أي فتاة هي... لك أن ترى ماذا تفعل هي... إن أردت أنا طلب نوع أفضل من النبيذ!

ماكس: تكاد الدموع تنساب من عينيها، كسابق عهدها؟

أناتول: لا تسمح بهذا النوع - مهما كانت الأسباب، مهما كانت الأسباب!...

ماكس: أي أنك في الفترة الأخيرة لا تشرب سوى أرخص أنواع النبيذ؟ [١٤].

أناتول: نعم... قبل الساعة العاشرة، ثم بالطبع الشمبانيا... هكذا الحياة!

ماكس: ماكس: لا... سامحني... الحياة ليست هكذا!

أنـــاتـــول: ضع في ذهنك فقط هذا التناقض! وقد ذقت لذة كافية حتى الآن!، إنها واحدة من الحالات السالفة نفسها التي شعرت فيها أنني في جوهري ذو شعور صادق إلى حد بعيد.

مـــاكس: هكذا!... آه!

أنـــاتـــول: لا أستطيع مواصلة تلك اللعبة المزدوجة... إنني أفقد كل احترامي لنفسي...!

مـــاكس: يا هذا! أنا، أنا، أنا... أنا لست ممن يجب أن تمثّل أمامهم هذه الكوميديا!

أنـــاتـــول: لماذا...؟ بعد أن أتيت بالفعل... لكنني بحق... لا أستطيع أن أتظاهر بالحب، ولم أعد أشعر بأي قدر منه!

مـــاكس: بل إنك لا تتظاهر به إلا فور شعورك بقدر آخر منه!

أنـــاتـــول: قلت لها مباشرة، مباشرة في البداية... حيث تعاهدنا على الحب الخالد: «يا حبيبتي «أنِّى» أتعلمين... إذا شعر أحدنا يوما بأن حبه كاد يزول... فعليه أن يقول هذا للآخر بصريح العبارة...».

مـــاكس: آه، اتفقتما على هذا في اللحظة نفسها التي تعاهدتما فيها على الحب الخالد... جيد جدا!

أنـــاتـــول: غالبا ما كررت هذا: «ليس بيننا أي ارتباطات، كلانا حر! نفترق بهدوء إذا انتهى وقتنا... لا أمقت إلا الخداع!».

مـــــاكس: إذن، سوف يسير الأمر بمنتهى البساطة... اليوم!

أنـــاتـــول: ببـســاطة!... الآن، عليّ أن أتكلم، ولا أجـرؤ... سوف تتألم... لا أستطيع احتمال البكاء. وفي النهاية أعود لحبها من جديد، لأنها بكت... ولهذا أكون قد عُدت لخداع الأخرى!

مـــــاكس: لا، لا... فقط دون خداع... كم أكرهه!

أنـــاتـــول: وجودك سيجعل كل هذا بلا كلفة!... ستأتينا بنسيم من المرح اللطيف، الذي لا بد من أن يحد من شجون الفراق! أنت والبكاء لا تجتمعان!

مـــــاكس: إذن هذا هو سبب وجودي هنا، لكن هل كل ما يمكنني عمله لك... أن أطيّب خاطرها؟... لا، لا... إلا هذا... لست مقتنعا به... لأنك إنسان محبوب جدا.

أنـــاتـــول: يا ماكس، يا حبيبي... إنك تستطيع الوصول ولو لقدر معين من هذا... يمكنك أن تقول لها أنها لن تفقد فيّ الكثير.

مـــــاكس: آه... حتى هنا ممكن.

أنـــاتـــول: وأنها ستجد مائة آخرين، أكثر جمالا، ومالا.

مـــــاكس: وذكاء.

أنـــاتـــول: لا، لا... أرجـوك... لا داعي للمبالغات (الجرسون يفتح الباب - «أنّى» تدخل مرتدية معطف مشمّع ثم تخلعه ويظهر شالها الفرو الطويل النحيل، تمسك بيدها قفازا أصفر،

وعلى رأسها قبعة عريضة مُهْمَلة ومُلفتة للنظر).

أنِّـــــي: آه... مساء الخير!

أنـــاتـــول: مساء الخير، يا «أنِّي»!... أنا آسف.

أنِّـــــي: أنت يُعتمد عليك! (تلقي بالمعطف المشمع)، نظرت في كل اتجاه حولي، يمينا، يسارا، ولم أجد أحدا.

أنـــاتـــول: لحسن الحظ أنكِ لم تنتظري أكثر من هذا!

أنِّـــــي: المرء يفي بوعده! مساء الخير، يا ماكس! (توجه حديثها إلى أناتول) آه... كنت تستطيع قبل ذلك أن تبلغني.

أنـــاتـــول: (يحتضنها): أما زلتِ ترتدين مشد الرقص؟

أنِّـــــي: آه - كان عليّ أن أتزين لك؟... آسفة.

أنـــاتـــول: يمكن أن يرضيني هذا، لكن عليكِ الاعتذار لماكس!

أنِّـــــي: لماذا؟ الأمر لا يخجله، هو لا يتغير!... إذن... إذن... الطعام (الجرسون يدق الباب) ادخل!... اليوم يدق الباب، وهذا ما لا يخطر عادة بباله! (الجرسون يدخل)

أنـــاتـــول: جهّز المائدة! (الجرسون ينصرف).

أنِّـــــي: لم تكن موجودا اليوم؟

أنـــاتـــول: لا... كان عليّ...

أنِّـــــي: لم يفتك الكثير! كل شيء كان يدعو للنعاس...

مـــاكس: أيّ أوبرا كانت قبلك اليوم؟

أنِّـــــي: لا أعلم... (جلسوا لتناول الطعام) ارتديت

الثياب، ثم طلعت على خشبة المسرح، لم أهتم بشيء... أي شيء!... فيما عدا ذلك أريد أن أقول لك شيئا، يا أناتول!

أناتول: ماذا يا صغيرتي؟ أمر مهم جدا؟

أنِّي: تقريبا!... وربما يفاجئك... (الجرسون يضع الطعام على المائدة).

أناتول: يفاجئني أنا... لقد زاد فضولي جدا.

أنِّي: آه... انتظر فقط... حتى يخلو المكان.

أناتول: (موجها حديثه للجرسون): اذهب الآن... سوف ندق لك الجرس (الجرسون يخرج)... آه، والآن...

أنِّي: آه... يا حبيبي أناتول... سوف تفاجأ... ولماذا؟... لن تفاجأ بالمرة... وليس للأمر أن يفاجئك مطلقا.

ماكس: زيادة أجور الفنانين؟

أناتول: لا تقاطعها...!

أنِّي: لا ياحبيبي أناتول... قل لي، هل هذا المحار «أوستندر» أم «ويتستيبل»؟[١٥].

أناتول: الآن ينتقل حديثها إلى المحار! إنه «أوستندر»!

أنِّي: كما توقعت... آه، أنا أعشق المحار... الوحيد الذي يستطيع المرء أن يأكل منه كل يوم!

ماكس: يستطيع؟!... ربما! يجب!

أنِّي: أليس كذلك! كما قلت!

أناتول: أنتِ تريدين أن تقولي لي شيئا بالغ الأهمية؟

أنِّـــــي: نعم... على أي حـال... مـهم جـدا... أتذكـر ملاحظة معينة؟

أنـــاتـــول: أيهـا... أيها؟ لا أستطيع أن أعرف أي مـلاحظة تقصدين!

مـــــاكس: له حق!

أنِّـــــي: والآن، أنا أذكر... انتظر!... ما قلته لي كان فقط «أنِّي» نحن لا نريد أن يخدع أحدنا الآخر...

أنـــاتـــول: نعم... نعم... ثم!

أنِّـــــي: دون خداع!... الأفضل أن نقول الحقيقة مباشرة

أنـــاتـــول: ... نعم... وهذا ما رأيت...

أنِّـــــي: وماذا إن فاتنا الوقت؟

أنـــاتـــول: ماذا تقولين؟

أنِّـــــي: لم يفت الوقت! أنا أقول لك في الوقت المناسب، باختصـار الآن هو الوقت المناسب، غـدا... ربما يكون الوقت قد فات!

أنـــاتـــول: هل صرتِ مجنونة، يا أنِّي؟!

مـــــاكس: كيف؟

أنِّـــــي: يا أناتول، يجب أن تستمر في أكل المحار... وإلا لن أقول لك شيئا... أي شيء!

أنـــاتـــول: ما معنى هذا؟ يجب عليك...

أنِّـــــي: الأكل!

أنـــاتـــول: عليك أن تتكلمي... أنا لا أتحـمل هذا النوع من التهريج!

أنِّـــــي: إذن، لقـد اتفـقنا أن علينا أن نتكلم بمنتـهى الهـدوء، إذا مـا كنا في هذه الحـالة... وهـا نحن أُولاء فيها الآن.

أنـــاتـــول: ماذا تقصدين؟

أنِّـــــي: أقصد، أنني أتناول معك العشاء اليوم لآخر مرة!

أنـــاتـــول: تكونين قد تكرمت عليّ... إن أوضحت الأمر!

أنِّـــــي: انتهى كل ما بيننا، يجب أن ينتهي...

أنـــاتـــول: آه... قولي!

مـــــاكس: ممتاز.

أنِّـــــي: وما الممتاز في هذا؟ ممتاز أولا، هذه هي الحال الآن!

أنـــاتـــول: يا صغيرتي، حتى الآن لم يوصلني الأمر إلى ما يجب... هل تقدم أحدهم للزواج منكِ...؟

أنِّـــــي: حتى وإن حدث! لن يكون سببا للفراق بيننا.

أنـــاتـــول: سبب للفراق!؟

أنِّـــــي: آه، لا بد وأن أعـتـــرف. أنا أحب، يا أناتول، أحب بجنون!

أنـــاتـــول: وإن كان لي أن أسأل، لمن هذا الحب؟

أنِّـــــي: ... قل، يا ماكس، ماذا يضحكك؟

مـــــاكس: إنه أمر مضحك للغاية!

أنـــاتـــول: دعـيـه... يا أنِّي... الحـديث بيننا نحن الاثنان فقط! ما زال عليكِ أن تقولي السبب.

أنِّـــــي: الآن، سأقوله لك... لقد وقعت في حب رجل آخر، وأقولها بصريح العبارة، وهذا ما اتفقنا عليه...

أنـــاتـــول: نعم... ولكن في حب مَنْ، بحق الشيطان؟!

أنِّـــــي: آه، يا صغيري، لا يصح أن تغلظ القول هكذا!

أنـــاتـــول: ما زلت أسألك... أسألك بإصرار...

أنِّـــــي: أرجوك يا ماكس، دق الجرس للجرسون، كم أنا جائعة!

أنـــاتـــول: الأمر على ما هو عليه! ما زالت الشهيّة مفتوحة، أعني لديك رغبة في الأكل أثناء مثل هذا الحديث!

مـــــاكس: (موجها حديثه إلى أناتول): عشاء تتناوله لأول مرة اليوم! (يدخل الجرسون).

أنـــاتـــول: ماذا تريد؟

الجـــرســون: لقد دق جرسكم!

مـــــاكس: واصل عملك! (الجرسون يرفع ما على المائدة).

أنِّـــــي: أرأيتم... المغنية «كاتاليني» سوف ترحل إلى ألمانيا... اتفاقها تم فعلا..

مـــــاكس: هكذا... يتركونها ترحل هكذا ببساطة؟

أنِّـــــي: آه... ببساطة... لا يمكن أن نقول هذا.

أنـــاتـــول: (يقوم ويسير في الحجرة ذهابا وإيابا): أين النبيذ؟!، أنت!... يا «جين»! أنت نعسان اليوم على ما يبدو!

الجـــرســون: ها هو ذا يا سيدي النبيذ...

أنـــاتـــول: لا أقصد ما هو على المائدة، ويمكنك أن تمعن الفكر!، أقصد الشمبانيا! وأنت تعلم أنه أول ما أردت أن يكون اليوم على المائدة! (الجرسون ينصرف).

أنـــاتـــول: لآخر مرة أسألكِ التوضيح!

أنِّـــــي: على المرء ألا يصدقكم في شيء أيها الرجال - في أي شيء!- عندما أتذكر، كيف أوضحت لي هذا بقولك: «إذا شعرنا أن حبنا كاد يزول، فعلينا أن نتصارح ونفترق بهدوء».

أنـــاتـــول: والآن سوف تقولين لي.

أنِّـــــي: ها هو ذا ما يعنيه... بالهدوء!

أنـــاتـــول: لكن، يا صغيرتي الحبيبة... لعلك أدركت أنني متشوق لمعرفة مَنْ.

أنِّـــــي: (تحتسي النبيذ ببطء): آه...

أنـــاتـــول: اشربي كأسك كله... كله!

أنِّـــــي: إذن سوف تنتظر طويلا.

أنـــاتـــول: عادة ما تتجرعين كأسك دفعة واحدة

أنِّـــــي: لكن، يا حبيبي أناتول، أنا أودع الآن نبيذ «بوردو» ومَنْ يدري إلى متى؟

أنـــاتـــول: أتعودين للوقوقة! ما الذي ستكررينه على نحو رتيب!

أنِّـــــي: بعد الآن لن يعود هناك نبيذ «بوردو»... ولا محار... ولا شمبانيا! (الجرسون يأتي بالدور التالي من الطعام)، ولا حتى شرائح عليها فطر الكمأة! كل شيء مضى...

مـــاكس: يا إلهي... لديك معدة عاطفية (الجرسون يضع الطعام على المائدة). ممكن أصب لكِ!

أنِّـــــي: شكرا جزيلا! يكفي هذا...

أنـــاتـــول: (يشعل سيجارة).

مـــــاكس: ألن تأكل؟

أنـــاتـــول: لا مـؤقـتـا! (الجـرسـون يخـرج)... الآن أود أن أعرف مَنْ هو المحظوظ!

أنِّـــــي: وإن قلت لك اسمه، فلن تزيد معرفتك عن هذا.

أنـــاتـــول: إذن، أي نوع من البشر هو؟ كيف تعرّفت عليه؟ ما شكله؟

أنِّـــــي: جميل، صورة من بديع الحُسن! وهذا هو كل شيء...

أنـــاتـــول: أي أن هذا عندك هو كل شيء...

أنِّـــــي: نعم، لن يأتينا المحار مرة أخرى...

أنـــاتـــول: هذا وقد علمناه...

أنِّـــــي: ولا شمبانيا!

أنـــاتـــول: لكنه، أيتها المصيبة... سوف يكون له صفات أخرى، بصرف النظر عن عدم تواجد المحار أو الشمبانيا لديه.

مـــــاكس: لديه حق... فكل ما سلف ليس بوظيفة...

أنِّـــــي: وما فائدة هذا إن كنت أحبه؟ أنا متنازلة عن كل شيء، وهذا هو الجديد... الذي لم أشهده من قبل.

مـــــاكس: لكن كـمـا ترين... كـان ممكنا أن أناتول يقـدم طعاما سيئا لو اضطره الفقر!

أنـــاتـــول: ومـاذا عـسـاه أن يكون؟ صـبي في ورشـة؟ أو منظف مداخن؟ أو بائع جاز متجوّل.

أنِّـــــي: يا صغيري، لا أسمح لأحد أن يهينه!

مـــاكس: قولي إذن، ما عمله!

أنِّـــــي: فنان!

أنـــاتـــول: أي فنان؟ على ما يبدو أنه بهلوان؟ لكن كيف يناسبكم، في السيرك؟ لعله فارس بهلواني؟

أنِّـــــي: كُفّ عن هذا السب! إنه زميلي...

أنـــاتـــول: آه، أي أنها معرفة قديمة؟... أنتِ معه يوميا منذ سنوات! وربما تخونيني معه أيضا من زمن طويل!

أنِّـــــي: كان الأفضل ألا أقول لك شيئا! التزمت بكلامك واعترفت لك قبل فوات الأوان!

أنـــاتـــول: لكن، أنتِ تحبينه بالفعل، والله أعلم منذ متى؟ تخونيني منذ زمن ونفسك راضية!

أنِّـــــي: إنه أمر أبَى أن يمنع نفسه!

أنـــاتـــول: أنتِ..

مـــاكس: أناتول!

أنـــاتـــول: هل أعرفه؟

أنِّـــــي: آه لعله لم يسترع انتباهك... فهو يرقص فقط مع المجموعة... لكنه سوف يُرقَّى.

أنـــاتـــول: منذ متى... نال إعجابك؟

أنِّـــــي: منذ مساء اليوم!

أنـــاتـــول: لا تكذبي!

أنِّـــــي: إنها الحقيقة! مساء اليوم... شعرت بأنه قدري...

أنـــاتـــول: قدرها!... أتسمع يا ماكس... قدرها!

أنِّـــــي: نعم، وهذا أيضا قدر!

أنـــاتـــول: أتسمع، لكنني أريد أن أعرف كل شيء، هذا من حقي!... ما زلتِ حتى هذه اللحظة حبيبتي!... أريد أن أعرف منذ متى حدث هذا... كيف بدأ... ومتى تجرأ عليه صاحبنا.

مـــاكس: نعم... عليك أن تحكي لنا...

أنِّـــــي: موضوعنا الآن هو الإخلاص... الأمانة. في استطاعتي أن أكون مثل «فريتسل» مع حبيبها الدوق، الذي لا يعلم حتى الآن أنها منذ ثلاثة أشهر في علاقة مع ملازم ثان من سلاح الفرسان!

أنـــاتـــول: وهل سيكشف هذا البارون ذلك؟

أنِّـــــي: ممكن! أما أنت، فلم تكن تستطيع اكتشافه، أبداً! في هذا أنا ذكية جدا... وأنت غبي جدا! (تصب لنفسها كأس نبيذ)

أنـــاتـــول: ألاتتوقفين عن الشرب!

أنِّـــــي: اليوم لا! نشوة الشراب... هي غايتي! إنها المرة الأخيرة على كل حال...

مـــاكس: لمدة ثمانية أيام!

أنِّـــــي: للأبد! لأني سوف أبقي مع كارل، لأنني، حقا أحبه، لأنه ظريف، ولو أنه فقير، لأنه لن يذيقني المر، لأنه حلو، حلو، لطيف!

أنـــاتـــول: أنت أخلفت وعـــدك! منذ زمن طويل وأنت تحبينه! أكذوبة غبية أن حبك له بدأ مساء اليوم!

أنِّـــــي: ليكن، فلا تصدقني!

مـــاكس: يا أنِّي... قولي لنا الحكاية... أنتِ وكأنك إما تعرفين كل شيء، أو لا شيء! إذا أردتِ الفراق بهدوء، عليك أن تفعلي هذا من أجل خاطره، من أجل خاطر أناتول...

أنـــاتـــول: وأنا أيضا سوف أحكي لكِ بعد ذلك...

أنِّـــــي: ليكن... الحكاية بدأت... (الجرسون يدخل)...

أنـــاتـــول: احكي... احكي... (يجلس بجوارها).

أنِّـــــي: ربما منذ أربعة عشر يوما.. أو أكثر، أعطاني وردتين، عند مَخْرج المسرح... كان يتعين عليّ أن أبتسم! إلا أنه بدا في حياء شديد.

أنـــاتـــول: لماذا لم تقولي لي عن هذا.

أنِّـــــي: عن ماذا؟ لقد كان لديّ الكثير لأقوله! (الجرسون يخرج)

أنـــاتـــول: أكملي إذن، أكملي!

أنِّـــــي: ... ثم صار دائما بالقرب مني في البروفات - آه - لاحظت هذا، وغضبت في البداية، ثم سعدت فيما بعد.

أنـــاتـــول: بمنتهى البساطة...

أنِّـــــي: آه... ثم تحادثنا، وكل شيء فيه نال إعجابي.

أنـــاتـــول: وفيم كان حديثكما؟

أنِّـــــي: في كل ما أمكن، كيف تم فصله من المدرسة، وكيف كان عليه بعد ذلك أن يتعلم منه، آه، وكيف بدأ دم المسرح يجري في عروقه...

أناتول: ها... وأنا لم أسمع شيئا عن كل هذا...

أنِّـــــي: آه... ثم اكتشفنا أننا، حين كنا أطفالا، كان لا يفصل بيته عن بيتي إلا بيتان فقط، كنا جيرانا.

أناتول: آه! جيران، أمر مؤثر، مؤثر!

أنِّـــــي: فعلا... فعلا (تواصل الشرب - وقد بدأ تأثير السُكر يظهر على نطقها).

أناتول: ... أكملي!

أنِّـــــي: وماذا بعد هذا؟ قلت لك كل شيء! إنه قدري - وقدري لا أستطيع أن أعارضه... و... قدري... لا أستطيع... أن... أعارضه...

أناتول: منذ أن حل المساء وأنا أريد أن أعرف شيئا ما.

أنِّـــــي: آه... وما هو - (رأسها تميل).

ماكس: إنها تنام.

أناتول: أيقظها! أبعد عنها النبيذ... يجب أن أعرف ما حدث الليلة أنِّي... أنِّي!

أنِّـــــي: هذه الليلة... قال لي أنه يحبني!

أناتول: وأنتِ.

أنِّـــــي: قلت إنني سعيدة، ولأنني لا أريد أن أخدعه أقول لك وداعا.

أناتول: لأنكِ لا تريدين أن تخدعيه!... ليس من

أجلي؟... من أجله!؟

أنِّـــــي: آه، ماذا! أنا لم أحبك أبدا!

أنـــاتـــول: جميل! ولحسن الحظ لم يعد هذا يضايقني...!

أنِّـــــي: هكذا!؟

أنـــاتـــول: كما أن حالتي أصبحت لطيفة، فسوف أستطيع من الآن فصاعدا أن اتخلّص من مؤانستك!

أنِّـــــي: هكذا... هكذا!

أنـــاتـــول: نعم... نعم! لم أعـد أحـبك منذ زمن طويل!.. إنني أحب غيرك!

أنِّـــــي: هاها... هاها...

أنـــاتـــول: منذ زمن طويل! فـقط اسـألي مـاكس! قـبل أن تأتي اليوم حكيت له.

أنِّـــــي: هكذا... هكذا...

أنـــاتـــول: منذ زمن طويل!... والأخرى أحسن وأجمل ألف مرة...

أنِّـــــي: هكذا... هكذا...

أنـــاتـــول: ... إنها فـتاة، يسـعدني من أجلها أن أتخلى عن ألف من أمثالك... أتفهمين؟

أنِّـــــي: (تضحك)...

أنـــاتـــول: لا تضحكي! اسألي ماكس.

أنِّـــــي: قمة الفكاهة! أنك تريد الآن أن توهمني بذلك.

أنـــاتـــول: مـا أقـوله لكِ هو الحـقـيـقـة، أقـسم لكِ إنهـا الحـقـيـقـة! لم أعـد أحـبك منذ زمن طويل! لم

تشغلي فكري ولو مرة واحدة كنت معكِ فيها، وما قبلتك إلا وأقصد الأخرى! الأخرى! الأخرى!

أنِّـــي: إذن، قد أصبحنا خالصين!

أنـاتـول: آه! أتظنين؟

أنِّـــي: نعم... خالصين! جميل جدا!

أنـاتـول: هكذا؟ - لا - لسنا خالصين! - حالك ليست مطلقا كحالي!... فقصتي أقل ذنوبا من نظيرتها عندك...

أنِّـــي: ... كيف؟ (بجدية أكثر).

أنـاتـول: نعم... قصتي ذات رنين مختلف.

أنِّـــي: وأي اختلاف هذا في قصتك؟

أنـاتـول: آه، أنا، أنا خدعتك.

أنِّـــي: (تنهض): كيف؟ كيف؟!

أنـاتـول: خدعتك كل يوم، كما تستحقين، ليلة بعد أخرى، آتي منها إليك، وإليها منك.

أنِّـــي: ... نذالة... نذالة! (تذهب إلى الشماعة، وترتدي المعطف المشمع والشال الفرو).

أنـاتـول: على المرء ألا يتمهل مع أمثالك، وإلا أسرعن لغيره!... ولحسن الحظ لم تكن لدي أي أوهام...

أنِّـــي: هكذا نعود لنرى بوضوح! نعم!

أنـاتـول: نعم... نرى بوضوح، أليس كذلك؟ الآن نرىَ...

أنِّـــي: نرى أن مثل هذا الرجل يفوق امرأة متهتكة مائة مرة في اللامبالاة.

أنـــاتـــول: نعم، واضح! فعلا لم أبال... نعم!

أنِّـــــي: (لفت رقبتها بالشال الفرو، وأخذت قبعتها وقفازها ووقفت أمام أناتول): نعم... بلا مبالاة! هكذا... لم أقل لك! (تهم بالخروج).

أنِّـــــي: ماذا؟! (يتبعها).

مـــاكس: اتركها! فلن توقفها في النهاية!

أنـــاتـــول: «ماذا»! لم تقولي لي... ماذا؟ أنكِ... أنكِ... أن

أنِّـــــي: (عند البـــاب): لم أقل لك أبدا... أبدا!... أن اللامبالاة لا يستطيعها هكذا إلا رجل. الجرسون (يأتي بالكريمة الحلوة) آه.

أنـــاتـــول: اذهب إلى الجحيم مع هذه الكريمة!

أنِّـــــي: ... ماذا!؟ كريمة بالڤانيليا... هكذا.

أنـــاتـــول: أما زلت تجرئين!

مـــاكس: دعها! يجب عليها أن تودّع الكريمة، للأبد!

أنِّـــــي: نعم... بسعادة! توديع نبيذ «بوردو»، والشمبانيا والمحار، وخاصة توديعك يا أناتول! (تعود فجأة من الباب، وتتجه بابتسامة وقحة نحو علبة السجائر فوق دعامة الشباك، تأخذ حفنة من السجائر وتضعها في حقيبتها). ليست لي! بل له! (تخرج).

أنـــاتـــول: (يتبعها، لكنه يقف عند الباب)...

مـــاكس: (بهدوء): آه... أترى... لقد سارت الأمور بمنتهى البساطة!

المشهد السادس:
احتضار

شخوص المشهد

- أناتول
- ماكس
- إلزا

(حجرة أناتول. بداية الغروب. الحجرة فارغة لفترة وجيزة، ثم يدخل كل من أناتول وماكس)

ماكس: هكذا... إذن، كفى لقد صعدت معك حتى هنا!

أناتول: ابق قليلا.

ماكس: أعتقد أنني سوف أزعجك؟

أناتول: أرجوك، ابق! لا أميل مطلقا أن أكون بمفردي، ومَنْ يعلم إذا كانت ستأتي!

ماكس: آه!

أناتول: انتظرت عشر مرات، سبع منهن دون فائدة!

ماكس: هذا ما لا أحتمله!

أناتول: على المرء أحيانا أن يصدّق الأعذار، إلا أن أعذارها بالفعل صحيحة.

ماكس: في المرات السبع؟

أناتول: على حد علمي!... لكنني أقول لك إن أسوأ شيء هو أن تكون عشيق امرأة متزوجة!

ماكس: آه، لا... الأسوأ على سبيل المثال أن تكون زوجها!

أناتول: الآن وقد طال الوقت... منذ متى؟ عامين... آه، بل أكثر!... كم كنا معا في الكرنفال[١٦] والآن ها هو ذا الربيع الثالث لحبنا.

ماكس: ماذا بك؟

أناتول (مرتديا معطفه وممسكا بعصاه، يلقي بنفسه على أريكة بجوار النافذة): آه، إنني متعب - إنني متوتر الأعصاب، ولا أعرف ما أريد...

مـــــاكس: ارتحل!

أنـــاتـــول: لماذا؟

مـــــاكس: حتى تختصر النهاية!

أنـــاتـــول: مَاذا تقصد بالنهاية!؟

مـــــاكس: رأيتك أكثر من مرة على هذه الحال - في المرة الأخيرة - أتذكر كيف لم تستطع أن تقرر الفراق مع هذه الحمقاء، التي لم تكن تستحق آلامك.

أنـــاتـــول: تقصد أنني لم أعد أحبها...؟

مـــــاكس: آه، وما أروع أن يتحقق هذا... وتزول مرحلة المعاناة!... إن ما أنت فيه الآن أسوأ من الموت... إنه الداء العضال.

أنـــاتـــول: لباقتك تجعلك تنتقي ما يروق لمستمعك! لكن عندك حق، وإنه الاحتضار!

مـــــاكس: من المؤكد أن الحديث يأتي ببعض من السلوان. لكننا لسنا في حاجة إلى الفلسفة. لا نحتاج للحديث في العموم الكبير - يكفي التعمق في الخصوص حتى نصل إلى جذوره.

أنـــاتـــول: كم يسعدني اقتراحك.

مـــــاكس: إنه مجرد رأي - لكنني راقبتك طوال عصر اليوم، ونحن في حديقة «براتر»[١٧]، حيث وصلت لأقصى حد من شحوب وسأم.

أنـــاتـــول: أردت أن أراها هناك اليوم.

مـــــاكس: لكنك سعدت لأننا لم نقابل عربتها، لأنك لم تعد

قادرا على الابتسام لتحيتها كعادتك منذ سنتين.
أناتول (يقف): وما السبيل! قل لي فقط، ما السبيل؟ تعود وتظهر أمامي... ثم تتلاشى بتدرج بطيء حزين لا يوصف؟... وأنت تعرف، كم يقشعر بدني!

ماكس: لذلك أقول لك سافر!... أو تجرأ وقل لها كل الحقيقة.

أناتول: آه، وكيف؟

ماكس: ببساطة: كل شيء انتهى.

أناتول: لا نحتاج للفخر بمثل هذه الحقائق؟ إنها مجرد اعتراف عنيف من كاذب مُتعب.

ماكس: أن تخفيا بألف حيلة عن أنفسكما؛ أنكما لستما على ما كنتما عليه من قبل، أَحَبُّ إليكما من أن تفترقا بقرار سريع. ولماذا كل هذا؟

أناتول: لأننا نحن أنفسنا لا نصدق هذا. ولأن الاحتضار ذا الوحشة اللانهائية به لحظات غريبة خادعة، يظهر فيها كل شيء أجمل مما كان عليه فيما مضى...! لم نتشوق للسعادة بهذه الدرجة الكبيرة التي وصلنا إليها في الأيام الأخيرة لحبنا - وإذا ما ظهر أي من الأهواء أو النشوات أو اللاشيء متنكرا في زي السعادة، فلا نريد أن نرى ما خلف هذا القناع... ثم تأتينا تلك اللحظات التي تجعلنا نخجل من اعتقادنا أن كل جميل قد زال، ثم يعتذر كل منا للآخر دون أن

ينطق بكلمة. - هكذا يكون شلل الخوف من الموت ثم تعود الحياة فجأة من جديد... أكثر حرارة وروعة... وأكثر خداعا مما كانت عليه!

ماكس: لا تنس شيئا واحدا! غالبا ما تبدأ هذه النهاية أسرع مما تظن!... وهناك سعادة يبدأ موتها مع أول قبلة. ألا تعلم شيئا عن هؤلاء ذوي الأمراض العضال الذين يعتقدون أنهم أصحاء حتى آخر لحظة؟

أناتول: لست من هؤلاء السعداء! وهذا مؤكد! لقد كنت دائما مريضا بوهم الحب... ربما لم تصل مشاعري لهذه الدرجة من المرض، كما كنت أعتقد - وهذا يثير استيائي! - وإذا بي أحيانا وكأن أسطورة العين الحسود قد تحققت في... شر العين يحل بداخلي، وأقوى مشاعري تعجز أمامه.

ماكس: على المرء إذن أن يتباهى بالعين الحسود.

أناتول: لا، بل إنني أحسد الآخرين! أتدري مَنْ؟ هؤلاء السعداء الذين يجدون في كل فترة من حياتهم نصرا جديدا! أما أنا فأكلف نفسي دائما أن أنتهي أولا مما كان؟ فأتخذ وقفات... وأفكر، وأتريث ثم أعود وأجر ورائي ما كان؛ أما الآخرون فيلجأون إلى الفراق وهم لاهون، حتى عن مشاعرهم... الأمر لديهم سيّان.

مـــــاكس: لا تحسدهم، يا أناتول... إنهم لا يفارقون، بل يمرون مرور الكرام!

أنـــاتـــول: أليست هذه أيضا سعادة؟ إنهم على الأقل ليس لديهم هذا الشعور الغريب بالذنب، وهو سر آلام الفراق عندنا.

مـــــاكس: أي ذنب إذا؟

أنـــاتـــول: ألم يجب علينا أن ندخل الخلود الذي وعدناهن إياه في السنوات أو الساعات، التي أحببناهن فيها؟ ولن نستطيع أبدا! أبدا!... هذا الشعور بالذنب هو الفرق بيننا وبين الآخرين... اكتئابنا لا يعني شيئا سوى اعتراف صامت... وهذا هو آخر ما لدينا من إخلاص.

مـــــاكس: وأحيانا أيضا أول ما لدينا...

أنـــاتـــول: وكم هو مؤلم أيا كان.

مـــــاكس: على أي حال، يا حبيبي، هذه العلاقات طويلة الأجل لا تناسبك... لأن شعورك المرهف قد زاد عن حده.

أنـــاتـــول: وماذا عساي أن أفهم من هذا؟

مـــــاكس: حاضرك يحمل على عاتقه حملا ثقيلا من ماضيك الخام... والآن يبدأ التلف يصيب سنوات حبك الأولى دون أن تكون لديك القدرة على الخلاص منها نهائيا. وما النتيجة الطبيعية لذلك؟... النتيجة أن تنتقل رائحة هذا التلف إلى

أكثر ساعات وقتك الحالي صحة ونضوجا... ويتسمم جو حاضرك لا محالة.

أناتول: قد يكون ذلك.

ماكس: لذلك أصبحت في داخلك فوضى أزليّة بين ما كان وما هو كائن وما سيكون، جميعهم مجرد تحولاّت دائمة غامضة! كل ما كان لا يصبح عندك حقيقة بسيطة ثابتة، بمجرد أن تنقضي الأحوال التي وقع فيها، لأن الأحوال تبقى لديك على ما هي عليه، فقط تزداد شحوبا وذبولا... وتموت.

أناتول: نعم. في هذا الجو تأتي الذكريات المؤلمة التي تعود بي إلى أجمل لحظات حياتي... يا حبذا لو أنقذ نفسي منها.

ماكس: أشد ما يدهشني أنه ما من أحد متأكد من أنه سيتعين عليه في يوم ما أن يقول شيئا بالغ الأهمية!... وها هو ذا على لساني الآن: «كن قويا، يا أناتول... عُد لصحتك!».

أناتول: ها أنت ذا تضحك، عند قولك هذا! من الممكن أن تكون لدي القدرة عليه! ولكن ينقضي ما هو أهم من ذلك بكثير - وهي الحاجة إليه! - إنني أشعر بأنني فقدت الكثير إذا ما وجدت نفسي «قويا» في يوم جميل!... الأمراض تتعدد لكن الصحة واحدة! على المرء دائما أن يكون سليما تماما مثل الآخرين، لكن المرء يستطيع أن يختلف

بمرضه الخاص شأنه شأن كل فرد من الآخرين!

مـــاكس: أليس ذلك مجرد حب الظهور؟

أنـــاتـــول: وإن كان؟... أنت تعلم تماما أن حب الظهور آفة، أليس كذلك؟

مـــاكس: إنني استخلص من كل هذا أنك - ببساطة - لا تريد الرحيل.

أنـــاتـــول: ربما أرحل... حسنا! لكن عليّ أن أفاجئ نفسي بذلك، ولا يجوز أن يكون هناك أي قصد، فالقصد يتلف كل شيء والمفزع في هذه الأمور أن يجهز المرء حقيبته ويأمر بإعداد العربة، ثم يجب عليه توجيهها إلى محطة القطار!

مـــاكس: سأدبر كل هذا لك! (أناتول يمشي مسرعا نحو النافذة وينظر منها) ماذا دهاك؟

أنـــاتـــول: لا شيء...

مـــاكس: آه، هكذا... إنني نسيت تماما... إنني كنت ذاهبا.

أنـــاتـــول: ... أترى في هذه اللحظة تعود بي ذاكرتي؟

مـــاكس: ... (صمت)

أنـــاتـــول: إلى عشقي إياها!

مـــاكس: هناك تفسير بسيط جدا لهذا، ألا وهو: أنك بالفعل تعشقها... في لحظتنا هذه!

أنـــاتـــول: وداعا إذن، لا تطلب العربة!

مـــاكس: لا تكن ماجنا هكذا! - قطار «تريستا»[١٨] السريع سيقوم بعد أربع ساعات وحقائبك ترسلها فيما بعد.

أنـــاتـــول: شكرا جزيلا!

مـــــاكس: (عند الباب): لا أستطيع أن أرحل دون أن أقول لك حكمة!

أنـــاتـــول: تفضل!

مـــــاكس: المرأة لغز!

أنـــاتـــول: آه!

مـــــاكس: لكن دعني أكمل! المرأة لغز: هذا ما نقوله! لكن أي لغز نحن بالنسبة إليهن، إذا ما كن في الأصل قادرات عقليا على التدّبر في أمرنا؟

أنـــاتـــول: براڤو، براڤو!

مـــــاكس: (ينحني وكأنه يرد تحية الإعجاب على خشبة المسرح ثم يخرج.)

أنـــاتـــول: (فترة بمفرده، يمشي ذهابا وإيابا في الغرفة؛ ثم يجلس بجوار النافذة ويدخن سيجارة. تصدر أصوات كمنجة من الدور العلوي فترة سكوت، ثم فترة وقع خطوات في الممر... أناتول ينتبه ثم يقف ويضع السيجارة في المطفأة، ويتجه نحو «إلزا» الداخلة لتوها، ملثمة بشدة).

مـــــاكس: أخيرا!

إلـــــزا: لقد تأخر الوقت... نعم، نعم! (تخلع قبعتها ولثامها) لم أستطع قبل ذلك كان مستحيلا.

أنـــاتـــول: ألم تستطيعي أن تخبريني؟ الانتظار يفقدني أعصابي! لكن... هل ستبقين؟

إلـــــــزا: ليس طويلا، يا ملاكي... زوجي.

أنـــاتـــول: (يوليها ظهره مستاء)

إلـــــــزا: انظر... كيف تعود لموقفك نفسه؟ ما بيدي شيء أفعله!

أنـــاتـــول: ليكن - عندك حق! - هذا هو الحال وعلينا أن نرتضي به... تعالي إلي يا حبيبتي!... (يذهبان معا إلى النافذة).

إلـــــــزا: قد يراني أحد!

أنـــاتـــول: لقد حل الظلام والستارة هنا تحجبنا! كم يضايقني أنك لا تستطيعين البقاء هنا طويلا! - أنا لم أرك منذ يومين! - وحتى المرة الأخيرة كانت فقط لبضع دقائق!

إلـــــــزا: أتحبني؟

أنـــاتـــول: آه، أنت تعرفين... أنت كل شيء، وكل شيء لي... أن أكون دائما معك

إلـــــــزا: وسعادتي أيضا أن أكون معك!

أنـــاتـــول: تعالى... (يجذبها إلى جواره على الأريكة) يدك! (يرفع يدها حتى تصل لشفتيه)... أتسمعين عزف جارنا المسن في الدور الأعلى؟ جميل، أليس كذلك؟

إلـــــــزا: حبيبي!

أنـــاتـــول: آه معكِ على بحيرة «كومو»... أو في البندقية.

إلـــــــزا: كنت هناك في رحلة شهر العسل.

أنـــاتـــول: (بغيظ مكظوم): هل من الضروري أن تقولي هذا الآن؟

إلـــــــزا: لكنني أحبك أنت فقط! أحببتك ولم أحب سواك... حتى زوجي.

أنـــاتـــول: (يشبك راحتيه): أرجوك! ألا تستطيعين أن تتصوري أنك لست متزوجة ولو لبضع ثوان؟ تذوقي حلاوة هذه الدقيقة... تخيلي أننا اثنان لا ثالث لنا في العالم... (دقات أجراس الكنيسة).

إلـــــــزا: كم الساعة؟

أنـــاتـــول: إلزا، إلزا... لا تسألي! انسي كل شيء... أنت معي الآن!

إلـــــــزا: (برقّة): ألم أنس الكثير من أجلك؟

أنـــاتـــول: حبيبتي (يقبّل يدها)

إلـــــــزا: حبيبي أناتول.

أنـــاتـــول: (برقة): ما الجديد، يا إلزا؟

إلـــــــزا: (تعبّر بحركة يدها وابتسامتها عن أنها لا بد من أن تذهب).

أنـــاتـــول: هذا ما ترين؟

إلـــــــزا: يجب أن أنصرف!

أنـــاتـــول: يجب؟

إلـــــــزا: نعم.

أنـــاتـــول: يجب؟ الآن... الآن؟ - إذهبي إذن! (يبتعد عنها)

إلـــــــزا: ما من أحد يستطيع أن يتحدث معك.

أنـــاتـــول: لا أحد يستطيع أن يتحدث معي! (يمشي في الغرفة ذهابا وإيابا) ألا تدركين أن هذا الحياة لا

بد من أن تخرجني عن وعيي؟

إلـــــــزا: هذا جزائي!

أنـــاتـــول: جزاء، جزاء! على ماذا؟... ألم يتساوَ عطاء كل منا للآخر؟ هل حبي لك أقل من حبك لي؟ هل سعادتك معي أقل من سعادتي معك؟ حب وجنون وعذاب! ثم الجزاء؟ من أين أتت هذه الكلمة السخيفة؟

إلـــــــزا: لا أستحق أن أنال منك ولو بعضا من الجزاء؟ ألم أضحِّ بكل شيء من أجلك؟

أنـــاتـــول: تضحّين؟ أنا لا أريد التضحية، وإن كان، فأنت لم تحبيني أبدا.

إلـــــــزا: إلزا: إلى هذا الحد؟... أنا لم أحبه... أنا التي خانت زوجها من أجله... أنا، أنا... لم أحبه!

أنـــاتـــول: أناتول: لم أقل هذا!

إلـــــــزا: وماذا فعلت أنا؟

أنـــاتـــول: (يتوقف أمامها): آه، ماذا فعلت أنا؟... تعليقك هذا الرائع خرج أيضا عن الصواب! ماذا فعلت؟ هذا ما أريد أن أقوله لك... قبل سبع سنوات كنت مراهقة غراء... ثم وجب الزواج فتزوجت، وقضيت شهر العسل... وكنت سعيدة... في البندقية.

إلـــــــزا: أبدا.

أنـــاتـــول: سعيدة في البندقية على بحيرة «كومو»، وأيضا

كان الحب ولد على الأقل في بعض اللحظات.

إلـــــــزا: أبدا!

أنـــاتـــول: كيف؟ ألم يقبلك... ألم يعانقك؟ ألم تكوني زوجته؟ ثم رجعتما من الرحلة معا وأصابك الملل، أمر بديهي، لأنك جميلة... أنيقة وامرأة! وهو بمنتهى البساطة غبي! ثم جاءت سنوات العبث في الحب... وأعتقد أنه عبث فقط، ولم تحبي أحدا من قبلي، كما تقولين، وهذا ما لا دليل عليه الآن، لكنني أفترض وجوده لأنني لا أحتمل عدمه.

إلـــــــزا: أناتول! عبث في الحب! أنا!

أنـــاتـــول: نعم... عبث! وما عساه أن يكون في الحب؟ لذة وخداع معا!

إلـــــــزا: أنا كنت كذلك؟

أنـــاتـــول: نعم... أنت! ثم أتت سنوات الصراع وأنت تترددين! أعليّ ألا أعود لعواطفي؟ دائما ما أصبحت أكثر جمالا... وزوجك أكثر مللا وغباء وقبحا...! وأخيرا وجب ما كان، اتخذت لنفسك عشيقا، وعن طريق المصادفة كنت أنا هذا العشيق!

إلـــــــزا: المصادفة... أنت!

أنـــاتـــول: نعم، أنا عن طريق المصادفة؛ لأنه إن لم يكن أنا لكان غيري!، أنت شعرت بالتعاسة أو بقدر لا يكفي من السعادة في زواجك... وأردت أن تنالي الحب. بادلتني الغرام إلى حد ما، وهذيت بولع

باهر. وفي يوم جميل ربما لاحظت إحدى صديقاتك عند مرورها عليك بالعربة، أو إحدى العابثات في الحب، كانت تجلس في مقصورة قريبة منك في المسرح، فسألت نفسك: لماذا لا أستمتع مثلهن؟ وهكذا صرت عشيقتي!... هذا ما فعلته! وهذا هو كل شيء، ولا أعلم لماذا تحتاجين إلى العبارات الطنانة لمثل هذه المغامرة الضئيلة.

إلـــــزا: أناتول... أناتول! أهي مغامرة؟!

أنـــاتـــول: نعم!

إلـــــزا: اسحب ما قلت... أتوسّل إليك!

أنـــاتـــول: وماذا أسحب... ألديك غير ما قلت؟

إلـــــزا: أتظن ذلك حقا؟

أنـــاتـــول: نعم!

إلـــــزا: الآن... عليّ إذن أن أذهب!

أنـــاتـــول: اذهبي... لن أمنعك (فترة سكوت).

إلـــــزا: أتطردني؟

أنـــاتـــول: أنا أطردك... أنت قلت قبل دقيقتين «عليّ أن أذهب!»

إلـــــزا: أناتول... نعم يجب عليّ! ألا تدرك هذا؟

أنـــاتـــول: (بحزم): إلزا!

إلـــــزا: ماذا؟

أنـــاتـــول: إلزا... أتحبينني؟ هذا ما تقولين.

إلـــــزا: نعم أقولها، يا للعجب، أي إثباتات تطلبها مني؟

أنـــاتـــول: أتريدين أن تعـرفي؟ حـسنا ! ربمـا أسـتطيع أن أصدق أنك تحبينني...

إلـــــزا: ربما؟ هل ستقولها اليوم!

أنـــاتـــول: أتحبينني؟

إلـــــزا: أعبدك.

أنـــاتـــول: إذن... ابقي معي!

إلـــــزا: كيف؟

أنـــاتـــول: تهربين معي... نعم؟ معي... إلى مدينة أخرى - إلى عالم آخر - أريد أن أكون معك فقط!

إلـــــزا: ماذا دهاك؟

أنـــاتـــول: مـاذا «دهـاني»؟ الشيء الطبيـعي الوحيـد، نعم! كـيف أتركك تذهبين إليـه، كـيف يجب عليّ أن أكـون قـادرا على هـذا في أي وقت كـان؟ نعم، وكيف تتـحملين هذا وأنت «تعـبدينني»! كيف؟ كيف تخرجين من بين أحضاني وقبلاتي الملتهبة وتذهبين إلى هذا البيت الذي أصبح غريبا عليك بعـد مـا صـرت لي؟ لا... لا... هكذا نحن الآن، ولم نفكر في رهبـة ما نحن فيـه! من المحـال أن نواصل حـيـاتنا هكذا... إلـزا، إلـزا، سـوف تـأتين معي! إلى صقلية... أينما تشائين، عبـر البحـار لأجل خاطري يا إلزا!

إلـــــزا: ما أعجب ما تقول؟

أنـــاتـــول: ولا يبـقى أحـد يفـصل بيني وبينك... يا إلزا...

على البحر معا ولا أحد سوانا.

إلـــــزا: على البحر؟

أنـــاتـــول: أينما تشائين!...

إلـــــزا: يا حبيبي... يا روحي...

أنـــاتـــول: أترددين؟

إلـــــزا: انتظر يا حبيبي... ولم نحتج إلى كل هذا؟

أنـــاتـــول: ماذا؟

إلـــــزا: هذا الترحال، ليس له أي ضرورة... يمكننا أن نتقابل بالقرب من ڤيننا، وقتما شئنا.

أنـــاتـــول: في الغالب كما نشاء. نعم، نعم... ها نحن أولاء لسنا في حاجة إلى ذلك مطلقا...

إلـــــزا: إنها تخيلات...

أنـــاتـــول: لك حق... (فترة صمت)

إلـــــزا: ... عاد غضبك؟ (دقات أجراس الكنيسة)

أنـــاتـــول: وجب عليك أن تذهبي!

إلـــــزا: ... يا للعجب... هكذا تأخر الوقت!

أنـــاتـــول: الآن... اذهبي.

إلـــــزا: إلى الغد... سأكون لديك في السادسة مساء!

أنـــاتـــول: كما تشائين!

إلـــــزا: ألن تقبلني؟

أنـــاتـــول: آه، نعم...

إلـــــزا: سوف أعوضك... غدا!

أنـــاتـــول: (يرافقها حتى الباب): إلى اللقاء!

إلـــــــــزا: (عند الباب): قبلة أخرى!

أنـــاتـــول: ولم لا؟... ليكن! (يقبلها وتذهب).

أناتول (يعود داخل الحجرة): بهذه القبلة جعلت منها ما تستحق أن تكون... لكن سوف تأتي بها من جديد! (ينتفض) غبي، غبي...!

(الستار)

مكتبة
t.me/soramnqraa

المشهد السابع:
صبيحة عقد قران أناتول

شخوص المشهد

- أناتول
- ماكس
- إلزا
- إلونا
- فرانس
- خادم

(صالة أنيقة حديثة التجهيز: بابها الأيمن يؤدي إلى حجرة جانبية، وبابها الأيسر، الذي أسدلت الستائر على جانبيه، يؤدي إلى حجرة النوم).

أناتول: (يخرج من الحجرة اليسرى مرتديا «الروب» وماشيا على أطراف أصابعه ثم يغلق الباب بهدوء، يجلس على أريكة مستطيلة ثم يضغط على زر كهربائي؛ رنين الجرس).

فرانس (يخرج من الباب الأيمن دون أن يرى أناتول، ويسير متجها نحو الباب الأيسر).

أناتول: (لم يلحظه أولا، لكن سرعان ما يراه ويتبعه ويمسك به قبل أن يفتح الباب):
إلى أين تتسلل؟ لم أسمعك!

فرانس: بما تأمر سعادتكم؟

أناتول: إبريق الشاي الروسي! [١٩].

فرانس: ليكن يا سيدي. (ينصرف).

أناتول: بهدوء، أيها الغبي! ألا تستطيع أن تخطو بهدوء أكثر من هذا؟ (يمشي على أطراف أصابعه متجها نحو الباب الأيسر، يفتحه قليلا) إنها نائمة! ما زالت نائمة! (يغلق الباب).

فرانس: (يأتي بإبريق الشاي): فنجانان، يا سيدي؟

أناتول: نعم! (رنين جرس الباب) ... انظر! من يأتي مبكرا هكذا؟ (فرانس (يدخل).

أناتول: اليوم غيرت رأيي في الزواج وأود أن أعتذر.

فـــــرانس: (يفتح الباب الأيمن، ويدخل منه ماكس).

مـــــاكس: (بحرارة): صديقي الحبيب!

أنـــاتـــول: هُسّ ... هدوء! ... فنجان آخر، يا فرانس!

مـــــاكس: أمامك فنجانان يا سيدي!

أنـــاتـــول: ضع فنجانا آخر يا فرانس... ثم اخرج. (فرانس ينصـرف) آه ... والآن يا عـزيزي، مـاذا جـاء بك إليّ في الثامنة صباحا؟

مـــــاكس: إنها العاشرة!

أنـــاتـــول: إذن ماذا جاء بك إليّ في العاشرة صباحا؟

مـــــاكس: النسيان.

أنـــاتـــول: اخفض صوتك ...

مـــــاكس: لكن، لماذا؟ هل أنت منزعج!

أنـــاتـــول: نعم، بدرجة كبيرة!

مـــــاكس: لكن لا يجوز أن تنزعج اليوم.

أنـــاتـــول: ماذا تريد إذن؟

مـــــاكس: أنت تعلم أنني اليـوم أحـد الشـهـود على عـقـد قـرانك؛ وسـتـرافـقني في الشـهـادة ابنة عـمك الجذابة «ألما».

أنـــاتـــول: (بصوت مطموس المخارج): دعنا في الأهم!

مـــــاكس: ليكن، فـقـد نسـيت أن أطلب باقـة الـزهور، ولا أعرف حتى هذه اللحظة التي أكلمك فيـها، أي ثوب سـوف ترتديه «ألما»... هل سـتظهـر في لون أبيض أم وردي أم أزرق أم أخضر؟

أنـــاتـــول: (مغتاظا): ليس أخضر بأي حال من الأحوال!

مـــــاكس: ولماذا ليس أخضر بأي حال من الأحوال؟

أنـــاتـــول: ابنة عمي لا ترتدي الأخضر أبدا.

مـــــاكس: (مستاء): لم أستطع حتى الآن أن أعرف هذا!

أنـــاتـــول: (مغتاظا): لا تصح هكذا! كل حديث ممكن أن يكون هادئا.

مـــــاكس: إذن أنت لا تعرف مطلقا أي لون سوف ترتديه هي اليوم؟

أنـــاتـــول: وردي أو أرزق!

مـــــاكس: لكنهما مختلفان تماما.

أنـــاتـــول: آه، وردي أو أرزق، كله سيّان!

مـــــاكس: لكن ليس كله سيّان مع باقة الورد التي سأحملها!

أنـــاتـــول: اطلب باقتين، ويمكنك أن تضع إحداهما في عروة السترة.

مـــــاكس: لم أحضر هنا لسماع نكتك السخيفة.

أنـــاتـــول: سوف أقول نكتة أخرى أسخف منها اليوم في الساعة الثانية!

مـــــاكس: يبدو أن مزاجك ممتاز في صبيحة عقد قرانك.

أنـــاتـــول: إنني متوتر!

مـــــاكس: أتخفى عني شيئا.

أنـــاتـــول: لا شيء!

(صوت إلونا ينبعث من حجرة النوم): أناتول!

مـــــاكس: (ينظر إلى أناتول مندهشا).

أنـــاتـــول: لا مؤاخذة، لحظة واحدة، (يتجه نحو باب حجرة النوم ويبقى لحظات داخلها، ماكس يتابعه محملقا، أناتول يقبّل ألونا عند الباب حتى لا يستطيع ماكس أن يراه، ثم يغلق الباب ويعود إلى ماكس)

مـــــاكس: (مستنكرا): لا يليق فعل هذا!

أنـــاتـــول: استمع أولا، يا عزيزي ماكس، ثم احكم.

مـــــاكس: إنني أحكم لأنني سمعت صوت امرأة: ها أنت ذا بدأت تخون زوجتك مبكرا!

أنـــاتـــول: اجلس واسمعني وسوف تغير موقفك.

مـــــاكس: أبدا، في الحقيقة إنني لست مرآة للفضائل؛ لكن إلى حد ما ...

أنـــاتـــول: ألا تريد أن تسمعني؟

مـــــاكس: احك! لكن بسرعة؛ فإنني مدعو إلى عقد قرانك. (يجلسان).

أنـــاتـــول: (حزينا): آه!

مـــــاكس: (نافد الصبر): وبعد آه!

أنـــاتـــول: آه ... آه بالأمس كانت الحفلة السابقة لعقد القرآن لدعم حمو وحماة المستقبل.

مـــــاكس: أعرف هذا، لأنني كنت هناك!

أنـــاتـــول: فعلا، أنت كنت هناك. عموما خلق كثيرون كانوا هناك! حيث خلو البال، واحتساء الشمبانيا، وشرب الأنخاب...

مـــاكس: وأنا أيضا ... شربت نخبك!

أنـــاتـــول: نعم، وأنت أيضا ... شربت نخبي! (يصافحه) أشكرك.

مـــاكس: وهذا ما سبق أن فعلته أنت بالأمس.

أنـــاتـــول: هكذا كان الجميع مبتهجين حتى منتصف الليل ...

مـــاكس: أعرف ذلك.

أنـــاتـــول: وجاءتني لحظة شعرت فيها كأنني سعيد.

مـــاكس: بعد كأسك الرابعة من الشمبانيا.

أنـــاتـــول: (بحزن): لا، بعد السادسة ... أصبحت حزينا، وأكاد لا أستطيع أن أعرف السبب.

مـــاكس: سبق أن تحدثنا عن هذا بما فيه الكفاية.

أنـــاتـــول: كان هناك أيضا هذا الشاب الذي أنا على يقين من أنه كان حب الصِّبا لعروستي.

مـــاكس: آه، الشاب «رالمن».

أنـــاتـــول: نعم، أعتقد أنه نوع من الشعراء. بالتأكيد أحد هؤلاء الذين هم الحب الأول لبعضهن وليس الأخير لأي واحدة منهن.

مـــاكس: أحبذ لو دخلت في الموضوع.

أنـــاتـــول: كنت في الحقيقة لا أكترث له مطلقا؛ بل كنت في واقع الأمر أهزأ منه ... وفي منتصف الليل تفرق الجميع. وودعت عروستي بقبلة. هي أيضا قبلتني ... ببرود ... وعند نزولي السلَّم، اعترتني قشعريرة.

مـــــاكس: هكذا...

أنـــاتـــول: وعند الباب هنأني مرة أخرى هذا وذاك. وكان عمي «إدوارد» سكران وعانقني، ودكتور في القانون غنى نشيدا طلابيا. أما حبيب الصبا، أقصد الشاعر، فقد اختفى بياقته المنشَّاة في حارة جانبية. ثم مازحني أحدهم قائلا إنني سوف أُمضي ما بقي من الليل هائما أمام نوافذ الحبيبة. فابتسمت ساخرا ... بدأ الثلج يتساقط وتفرق الجميع تدريجيا ... وبقيت واقفا بمفردي.

مـــــاكس: (راثيا): آه ...

أنـــاتـــول: (بحرارة أشد): نعم، وقفت وحيدا في الشارع، في ليلة شتاء باردة، وقد تناثرت قذائف الثلج الكبيرة من حولي. كان موقفا رهيبا ... إلى حد ما.

مـــــاكس: أرجوك... قل لي أخيرا إلى أين ذهبت؟

أنـــاتـــول: (بدهشة): كان علي أن أدخل... في حفلة تنكرية!

مـــــاكس: آه!

أنـــاتـــول: لعلك تتعجب، كيف هذا؟

مـــــاكس: لا، بل أستطيع أن أتوقع ما يتبع هذا.

أنـــاتـــول: لا أعتقد يا صديقي... عندما كنت واقفا في ليلة الشتاء الباردة.

مـــــاكس: مرتجفا...!

أنـــاتـــول: متجمدا! وانتابني ألم شديد لأنني من الآن

فصاعدا لن أكون رجلا حرا، وسوف أودع للأبد حياة العزاب الحلوة الرائعة! وقلت لنفسي، هذه هي الليلة الأخيرة التي أستطيع فيها أن أعود لمنزلي دون أن يسألني أحد: أين كنت...؟ الليلة الأخيرة للحرية وللمغامرات ... وربما للحب!

ماكس: آه!

أناتول: وقفت وسط هذا الكم المتداخل. وأحاط بي حفيف ثياب من حرير أطلس مبيض، وعيون براقة، وأقنعة تومئ بالتحية، ورحيق أكتاف عارية ناصعة، هنا تنفست ومجنت طوال الكرنفال، انغمست في هذا المعترك، وجعلته يعصف بنفسي ووجب على أن أرتوي به وأغوص فيه!

ماكس: ادخل في الموضوع ... ليس لدينا وقت.

أناتول: سوف أعود إلى هذه الجموع، وبعد أن كانت تحكمني أفكار رأسي، ستعود وتحكمني أنفاسي عبر العطور التي تفوح من حولي، والتي هبّت عليّ رياحها بطريقة لم يسبق لها نظير، إن هذا الكرنفال أعطاني، أنا بوجه خاص، فرصة للاحتفال بوداع ما كان.

ماكس: إنني انتظر سكرتك الثالثة ...

أناتول: لقد كانت بالفعل ... سكرة القلب ...!

ماكس: سكرة الشعور ...

أناتول: سكرة القلب ...! ولتكن سكرة الشعور ... أتذكُر كتارينا ...؟

مـــــاكس: (بصوت مرتفع): آه، كتارينا.

أنـــاتـــول: هُسّ ...

مـــــاكس: (مشيرا إلى باب غرفة النوم): آه ... هي؟

أنـــاتـــول: لا - ليست هي. لكنها كانت أيضا هناك، وكذلك امرأة سمراء فاتنة، لن أقول اسمها ... ثم القصيرة الشقراء ليزا تيودور - لكن تيودور لم يكن هناك - وهكذا. عرفتهن كلهن على الرغم من أقنعتهن، من صوتهن، من مشيتهن، أو من أي حركة لهن. لكن من العجب ... إحداهن لم أعرفها، فتتبعتها أو هي تتبعني. كان قوامها مألوفا لدي. دائما ما تقابلنا عند النافورة، وعند البوفيه بالقرب من مقصورة المسرح ... دائما! وأخيرا أمسكت هي بيدي وعرفت عندئذ من تكون! (مشيرا إلى باب حجرة النوم) هي.

مـــــاكس: معرفة قديمة؟

أنـــاتـــول: لكن يا هذا، ألا تعرفها؟ أنت تعرف ما رويته لك قبل ستة أسابيع، عندما خطبت ... الأسطورة القديمة: «سوف أرتحل، وسرعان ما أعود، وأحبك للأبد».

مـــــاكس: إلونا ...؟

أنـــاتـــول: هُسّ ...

مـــــاكس: ليست إلونا ...؟

أنـــاتـــول: هي... لذلك كن هادئا! جاءت وهمست في أذني

قائلة: «لقد عُدتَ». فأجبتها دون تردد: «نعم. متى جئت؟ مساء اليوم - ولماذا لم تكتب لي قبل هذا؟ - ليس بيننا بريد. أين كنت إذن؟ - في قرية موحشة - والآن...؟ عدت سعيدا وكنت مخلصا - وأنا أيضا - أنا أيضا - سعادة وشمبانيا والحظ من جديد».

ماكس: أتعود للشمبانيا من جديد.

أناتول: لا - لن نعود للشمبانيا - لكنا عدنا لما كان ... ركبنا العربة لنذهب للمنزل، مالت على صدري، وقالت... آه لو ما نفترق أبدا...

ماكس: (يقف): أفق، يا صديقي، هنا وصلت للنهاية.

أناتول: لن نفترق أبدا .... وأنا أتزوج اليوم في الساعة الثانية!

ماكس: واحدة أخرى.

أناتول: طبعا، دائما ما يتزوج المرء واحدة أخرى.

ماكس: (ينظر في ساعته)، وأعتقد أن الوقت قد حان. (يعطي إشارة تفيد بأن على أناتول أن يفر من إلونا).

أناتول: نعم، نعم، سوف أرى إن كانت على استعداد. (يتجه نحو الباب، ويقف عنده ثم يلتفت إلى ماكس) أليس هذا أمرا مؤسفا؟

ماكس: فعلا، لا يصح.

أناتول: نعم، ولكنه أيضا مؤسف.

ماكس: عليك أن تذهب.

أناتول: (متجها نحو باب الغرفة الجانبية).

إلونا: (تطل برأسها ثم تخرج مرتدية برنس الكرنفالات التنكري): ما من أحد هنا سوى ماكس!

ماكس: (منحنيا): ماكس فقط.

إلونا: (توجه حديثها إلى أناتول): لم تقل لي أي شيء، أعتقدت أنه شخص غريب، وإلا لكنت معكم منذ وقت طويل. كيف حالك يا ماكس؟ وما رأيك في هذا الشقي؟

ماكس: نعم، هو ذاك.

إلونا: ستة أسابيع وأنا أبكي على فراقه ... وكان هو ... أين كنت؟

أناتول: (مؤديا حركة طويلة بيده): هناك.

إلونا: لم يكتب إليك أيضا؟ لكنه الآن معي. (تمسك بيده) ... لا سفر ولا فراق ... أعطني قبلة!

أناتول: لكن ...

إلونا: آه، ماكس منّا (تُقبّل أناتول) لكنك تخجل! ... الآن سوف أصبّ الشاي لكما ولي، بعد إذنكما.

أناتول: تفضلي ...

ماكس: عزيزتي إلونا، للأسف لن أستطيع قبول دعوة الإفطار معكما ... ولا أرى أيضا ...

إلونا: (تحاول استعمال إبريق الشاي الروسي): ولا ترى ماذا؟

مـــاكس: على أناتول أيضا ...

إلـــونـــا: ماذا على أناتول؟

مـــاكس: (موجها حديثه إلى أناتول): كان عليك...

إلـــونـــا: ماذا عليه؟

مـــاكس: عليك أن تكون قد دخلت الحمام!

إلـــونـــا: لا تكن سخيفا يا ماكس، سنمكث اليوم في البيت، ولن نخرج ...

مـــاكس: يا صغيرتي الحبيبة، غير ممكن للأسف ...

إلـــونـــا: سوف يكون ممكنا.

مـــاكس: إنني مدعو ...

إلـــونـــا: (تصب الشاي): اعتذر!

مـــاكس: لا يستطيع الاعتذار.

أنـــاتـــول: إنني مدعو إلى عقد قران.

مـــاكس: (يعطيه إشارات مشجعة)

إلـــونـــا: آه، لا أهمية لذلك.

أنـــاتـــول: ليس على الإطلاق - لأنني من سيحملون الإكليل.

إلـــونـــا: وهل العروس تحب عريسها؟

مـــاكس: ليس موضوعنا الآن.

إلـــونـــا: لكنني أحب أناتول، وهذا هو الموضـــوع ... لا تتدخل دائما في الكلام!

أنـــاتـــول: يا صغيرتي ... يجب أن أذهب.

مـــاكس: نعم، يجب أن يذهب - صدّقيه - عليه أن يذهب.

أنـــاتـــول: لا بد من أن تعطيني إجازة لعدة ساعات.

إلـــونـــا: من فضلكما، اجلسا الآن ... كم قطعة سكر، يا ماكس؟

مـــاكس: ثلاثة.

إلـــونـــا: (توجه حديثها إلى أناتول): وأنت ...؟

أنـــاتـــول: لكن الوقت تأخر.

إلـــونـــا: كم قطعة سكر؟

أنـــاتـــول: أنت تعرفين ... دائما قطعتان.

إلـــونـــا: الروم [٢٠]، يا جرسون؟

أنـــاتـــول: الروم... أتعرفينه أيضا!

إلـــونـــا: الروم وقطعتان من السكر، (توجه حديثها إلى ماكس) له مبادئه!

مـــاكس: لا بد من أن أذهب!

أنـــاتـــول (بصوت خافت): أتتركني وحدي؟

إلـــونـــا: سوف تشرب كل شايك، يا ماكس!

أنـــاتـــول: يا صغيرتي، لا بد من أن أغير ملابسي الآن!

إلـــونـــا: أعوذ بالله... متى هذا العُرس التعيس؟

مـــاكس: بعد ساعتين.

إلـــونـــا: وأنت أيضا مدعو؟

مـــاكس: نعم!

إلـــونـــا: أنت أيضا سوف تحمل الإكليل؟

مـــاكس: نعم ... هو أيضا.

إلـــونـــا: من العريس إذن؟

مـــاكس: أنتِ لا تعرفينه.

إلـــونـــا: ما اسمه؟ لن يكون سرا.

أنـــاتـــول: إنه سر.

إلـــونـــا: كيف؟

أنـــاتـــول: سوف يتم عقد القرآن سرا.

إلـــونـــا: في حضور حاملي وحاملات الأكاليل؟ إنه هراء!

مـــاكس: الوالدان فقط، لا يجوز أن يعرفا شيئا.

إلـــونـــا (ترتشف الشاي): أنتما تكذبان عليّ.

مـــاكس: آه، أرجوك.

إلـــونـــا: ربنا يعلم أين أنتما اليوم مدعوان!... لكن هذا لن يكون، أنت يا عزيزي ماكس، يمكنك طبعا الذهاب، أينما تشاء... إلا أن هذا سوف يبقى هنا.

أنـــاتـــول: مستحيل، مستحيل. لن أستطيع الغياب عن عقد قران أعز أصدقائي.

إلـــونـــا (توجه حديثها إلى ماكس): هل أعطيه تلك الإجازة؟

مـــاكس: لا بد... يا أجمل إلونا!

إلـــونـــا: في أي كنيسة سيكون هذا العُرس؟

أنـــاتـــول (تحركت مخاوفه): لم تسألين؟

إلـــونـــا: أريد أن أتصوره على الأقل.

مـــاكس: إلا أن ذلك ليس في الإمكان ...

إلـــونـــا: ولماذا؟

أنـــاتـــول: لأن عقد القرآن سيكون في كنيسة صغيرة ... تحت سطح الأرض تماما.

إلـــونـــا: لكن لا بد من أن يكون لها طريق؟

أنـــاتـــول: لا ، أقصد... بالطبع هناك طريق إليها.

إلـــونـــا: أود أن أرى هذه السيدة، يا أناتول، فقد أصبحت أغار منها... فهناك حكايات عن هؤلاء الذين سرعان ما تزوجوا بعد أن حملوا الإكاليل. وأنت تفهم يا أناتول... أنا لا أريدك أن تتزوج.

مـــاكس: وماذا سوف تفعلين ... لو تزوج؟

إلـــونـــا (بهدوء شديد): سوف أكدّر عقد هذا القران.

أنـــاتـــول: هكذا؟

مـــاكس: وكيف؟

إلـــونـــا: إنه أمر محيّر. لكن ربما تكون فضيحة كبيرة على باب الكنيسة.

مـــاكس: ابتذال.

إلـــونـــا: سوف أجد طريقة ألطف.

مـــاكس: مثلا؟

إلـــونـــا: ربما أحضر بثوب العرس - ومعي إكليل من الريحان - وسوف يكون ذلك ظريفا دون شك!

مـــاكس: ظريف جدا ... (يقف) لا بد من أن أذهب الآن ... وداعا، يا أناتول!

أنـــاتـــول (يقف بحزم): آسف، يا عزيزتي إلونا، يجب أن أغير ملابسي، فقد حان الوقت.

فـــرانـس (يدخل حاملا باقة زهور): الزهور يا سيدي.

إلـــونـــا: أية زهور؟

فـــرانس: (ينظر إلى إلونا، ويظهر على وجهه التعجب وكتمان شيء ما): الزهور يا سيدي.

إلـــونـــا: أما زلت تحتفظ بفرانس! (فرانس يخرج) كنت تريد طرده؟

مـــاكس: ماكس: إنه أمر عسير في بعض الأحيان.

أنـــاتـــول (يمسك بباقة زهور ملفوفة في ورق ناعم).

إلـــونـــا: دعني أرى ذوقك!

مـــاكس: الباقة للعروسة؟

إلـــونـــا (تفتح ورق الباقة): إنها باقة العروسة!

أنـــاتـــول: يا ربي، أرسلوا لي باقة خطأ ... فرانس،

فـــرانس: (يخرج بسرعة ممسكا بالباقة).

مـــاكس: سوف يحصل العريس المسكين على باقته.

أنـــاتـــول (يدخل عائدا): خرج فرانس بها مسرعا.

مـــاكس: الآن عليك أن تعذرني... لا بد من أن أذهب.

أنـــاتـــول (يرافقه نحو الباب): ماذا عساي أن أفعل؟

مـــاكس: تعترف.

أنـــاتـــول: مستحيل.

مـــاكس: على أي حال سوف أعود إليك فور ما أستطيع.

أنـــاتـــول: نعم، أرجوك!

مـــاكس: واللون...

أنـــاتـــول: أزرق أو أحمر - بقدر ما أعلم - وداعا.

مـــاكس: وادعا، يا إلونا! ... (بهدوء) ساعة وأعود!

أنـــاتـــول (يعود للغرفة).

إلـــونـــا (تلقي بنفسها بين ذراعيه): أخيرا! آه، كم أنا سعيدة.

أنـــاتـــول (بإهمال): يا ملاكي!

إلـــونـــا: كم أنت بارد.

أنـــاتـــول: لقد قلت لك توا: «يا ملاكي».

إلـــونـــا: لكن هل أنت مضطر فعلا أن تذهب الآن لهذا العرس السخيف؟

أنـــاتـــول: فعلا يا حبيبتي، لا بد.

إلـــونـــا: أتعرف، يمكنني أن أرافقك في عربتك حتى منزل رفيقتك في الإكليل...

أنـــاتـــول: لا داعي. سوف نتقابل مساء اليوم، ولو أن عليك أن تذهبي إلى المسرح.

إلـــونـــا: سوف أعتذر.

أنـــاتـــول: لا، لا، سوف آخذك بعد المسرح، والآن يجب أن أرتدي بدلة السهرة (ينظر في الساعة). الوقت يمر، فرانس، فرانس!

إلـــونـــا: ماذا تريد؟

أنـــاتـــول (يوجه حديثه إلى فرانس الذي دخل لتوه): هل جهّزت كل شيء في حجرتي؟

فـــرانس: سيدي الفاضل، أتقصد بدلة السهرة ورِابطة العنق البيضاء.

أنـــاتـــول: نعم.

فـــرانس: حالا (يدخل غرفة النوم).

أنـــاتـــول (يمشي ذهابا وإيابا): يا إلونا - مساء اليوم - بعد المسرح، أليس كذلك؟

إلـــونـــا: تمنيت أن أظل معك اليوم.

أنـــاتـــول: لا تكوني كالأطفال، لديّ ارتباطات كما ترين!

إلـــونـــا: لا أري شيئا سوى أنني أحبك.

أنـــاتـــول: إلا أن ذلك ضروري جدا.

فـــرانس (يخرج من حجرة النوم): كل شيء على ما يرام، يا سيدي. (ينصرف).

أنـــاتـــول: حسنا. (يدخل حجرة النوم، يتابع حديثه من خلف الباب، بينما تظل إلونا ظاهرة في المشهد). أقصد، أنه من الضروري أن تتفهمي الموقف.

إلـــونـــا: أنت تغيّر ملابسك فعلا؟

أنـــاتـــول: لا أستطيع أن أذهب هكذا للعُرسْ.

إلـــونـــا: ولماذا تذهب؟

أنـــاتـــول: أتعودين لما كان؟ لا بد من أن أذهب.

إلـــونـــا: والليلة.

أنـــاتـــول: سوف أنتظرك أمام باب المسرح.

إلـــونـــا: لا تتأخر!

أنـــاتـــول: لا... ولماذا أتأخر؟

إلـــونـــا: عليك أن تتذكر فقط، أنني انتظرتك ذات مرة ساعة كاملة بعد المسرح.

أنـــاتـــول: هكذا؟ لا أتذكر. (فترة سكوت).

إلـــونـــا (تسير بلا هدف في الغرفة وتنظر إلى السقف

والجدران): أناتول! عندك هنا لوحة جديدة؟

أناتول: نعم، أتعجبك؟

إلونا: لا أفقه شيئا في اللوحات.

أناتول: إنها لوحة جميلة.

إلونا: هل أحضرتها معك؟

أناتول: كيف؟ من أين؟

إلونا: من رحلتك.

أناتول: نعم، فعلا، من رحلتي، كما أنها هدية (فترة سكوت).

إلونا: يا أناتول!

أناتول (بعصبية): ماذا؟

إلونا: أين كنت؟

أناتول: ألم أقل لكِ هذا؟

إلونا: كلا، لم تقل أي كلمة.

أناتول: قلت لك هذا بالأمس.

إلونا: وهأنذا قد نسيت!

أناتول: كنت قريبا من «بوهيميا»[٢١].

إلونا: وما كان عساك أن تفعل في «بوهيميا»؟

أناتول: لم أكن في «بوهيميا» فقط بالقرب منها.

إلونا: آه، أنت ذهبت إذا من أجل الصيد.

أناتول: نعم، كنت أصيد الأرانب.

إلونا: ستة أسابيع تصيد الأرانب؟

أناتول: نعم، دون انقطاع.

إلونا: ولماذا لم تودعني قبل سفرك؟

أناتول: لم أشأ أن أكدرك.

إلونا: أردت أن تهجرني يا أناتول.

أناتول: أمر مضحك.

إلونا: نعم، ذات مرة حاولت أن تهجرني.

أناتول: حاولت، نعم، حاولت، لكنني لم أفلح.

إلونا: ماذا؟ ماذا تقول؟

أناتول: نعم، أردت أن انتزع نفسي منك، وأنت تعرفين ذلك.

إلونا: يا له من عبث، إنك لم تستطيع أبدا أن تنتزع نفسك مني!

أناتول: هاها!

إلونا: ماذا تقول؟

أناتول: قلت، هاها.

إلونا: لا تضحك يا حبيبي، لقد عدت إليّ آنذاك.

أناتول: نعم، آنذاك!

إلونا: وهذه المرة أيضا... ها أنت ذا تحبني.

أناتول: للأسف.

إلونا: كيف؟

أناتول (ضاحكا): للأسف!

إلونا: يا هذا، ما لك تتشجع هكذا وأنت في حجرة أخرى، لن تقول هذا في وجهي.

أناتول (يفتح الباب ويُخرج رأسه): للأسف.

إلونا (تتجه نحو الباب): ما معنى هذا يا أناتول؟

أناتول (يرجع خلف الباب): أعني، أن حالنا لا يمكن أن يستمر هكذا للأبد.

إلـــونـــا: ماذا؟

أنـــاتـــول: لن يستمر، أقول، لن يستمر.

إلـــونـــا: الآن أضحك أنا: هاها.

أنـــاتـــول: ماذا؟

إلـــونـــا (تجذب الباب بقوة): هاها!

أنـــاتـــول: أغلقي الباب! (الباب ينغلق).

إلـــونـــا: لا، يا حبيبي، أنت تحبني ولا تستطيع أن تتركني.

أنـــاتـــول: أهذا ما تظنينه؟

إلـــونـــا: لا، بل ما أعرفه.

أنـــاتـــول: تعرفينه؟

إلـــونـــا: أشعر به.

أنـــاتـــول: أنت تعتقدين إذن، أنني سوف أركع للأبد أمام قدميك.

إلـــونـــا: أنت لن تتزوج وهذا ما أعرفه.

أنـــاتـــول: أنتِ بديعة فعلا يا صغيرتي، أمر جميل بحق، لكننا لسنا مرتبطين للأبد.

إلـــونـــا: أتعتقد أنني سأسلم لك؟

أنـــاتـــول: سوف تضطرّين ذات مرة.

إلـــونـــا: اضطر؟ متى إذن؟

أنـــاتـــول: عندما أتزوج.

إلـــونـــا (تطبّل على الباب): ومتى سيكون هذا، يا حبيبي؟

أنـــاتـــول (مستهزئا): آه، قريبا، يا حبيبتي!

إلـــونـــا (أكثر جدة): متى إذا؟

أنـــاتـــول: أوقفي الطبل، بعد عام واحد سيكون مر على زواجي زمن طويل.

إلـــونـــا: مهرج!

أنـــاتـــول: بإمكاني أيضا أن أتم زواجي في شهرين.

إلـــونـــا: لعل هناك واحدة في انتظارك!

أنـــاتـــول: نعم، تنتظرني الآن في هذه اللحظة.

إلـــونـــا: الزواج في شهرين؟

أنـــاتـــول: يبدو لي، أنكِ تشُكِّين...

إلـــونـــا (تضحك).

أنـــاتـــول: لا تضحكي - سأتزوج بعد ثمانية أيام.

إلـــونـــا (تأتي بضحكات رنانة).

أنـــاتـــول: لا تضحكي، يا إلونا!

إلـــونـــا: (ترتمي ضاحكة على الأريكة).

أنـــاتـــول: (يخرج عند الباب مرتديا بدلة السهرة): لا تضحكي!

إلـــونـــا: (ضاحكة): متى تتزوج؟

أنـــاتـــول: اليوم.

إلـــونـــا (تنظر إليه): متى؟

أنـــاتـــول: اليوم، يا حبيبتي.

إلـــونـــا (تقف): أناتول، دعك من الهذر!

أنـــاتـــول: المسألة جد، يا صغيرتي، سأتزوج اليوم.

إلـــونـــا: أنت مجنون، أليس كذلك؟

أنـــاتـــول: فرانس!

فـــرانـــس (يأتي): نعم يا سيدي؟

أنـــاتـــول: باقة الزهور! (فرانس ينصرف).

إلـــونـــا (تقف أمام أناتول وتهدده): أناتول...!

فـــرانس (يأتي بباقة الزهور).

إلـــونـــا (تستدير إلى الوراء وتنقض صارخة على باقة الزهور، التي سرعان ما ينتزعها أناتول من يد فرانس، الذي يخرج ببطء مبتسما).

إلـــونـــا: آه!! إنها حقيقة إذن.

أنـــاتـــول: كما ترين.

إلـــونـــا (تريد أن تنتزع باقة الزهور من يده).

أنـــاتـــول: ماذاتفعلين؟ (يضطر للفرار منها، تلاحقه في الحجرة).

إلـــونـــا: حقير، حقير!

مـــاكس (يدخل وبيده باقة زهور، لكنه يقف مشدوها عند الباب).

أنـــاتـــول (يهرب ويقف فوق الأريكة رافعا باقة الزهورإلى أعلى): أنقذني يا ماكس!

مـــاكس (يسرع إلى لونا، التي تتوجه اليه وتنتزع باقة الزهور من يده، ثم تلقي بها على الأرض وتدوسها).

مـــاكس: أنتِ مدهشة، يا إلونا.. باقتي! ماذا أفعل الآن!

إلـــونـــا (تنفجر في البكاء بشدة، وترتمي على أحد المقاعد).

أنـــاتـــول (واقفا فوق الأريكة حائرا، متلفتا): لقد أثارتني... آه، إلونا، أتبكين الآن... طبعا... لماذا سخرت مني... لقد استهزأت بي... أترى

يا مـــاكس... قـــالت... انني لن أجـــرؤ على الزواج... والآن... طبـــيـــعي أن أتزوج من باب المعارضة. (يريد النزول من على الأريكة).

إلـــونـــا: منافق، غشاش!

أنـــاتـــول (يعود ويقف فوق الأريكة).

مـــاكس (يلتقط باقة الزهور من على الأرض): باقتي!

إلـــونـــا: كان هدفي باقتـه هو. لكنك تستحق أيضا... شريكه في الذنب.

أنـــاتـــول: (ما زال فوق الأريكة): تعقّلي!

إلـــونـــا: آه... هذا مـا تقـولونه دائمـا، عندمـا يصيبكم الجنون! لكنكم سوف ترون! سيكون عقد قران رائعا! انتظروا... (تقف) إلى الملتقى قريبا!

أنـــاتـــول (يقفز من فوق الأريكة): إلى أين؟

إلـــونـــا: سوف ترى.

أناتول و ماكس: إلى أين؟

إلـــونـــا: دعوني!

أناتول و مـاكس (يمنعـانهـا من الخـروج): إلونا، مـاذا ستـفـعلين؟ إلونا، ماذا ستفعلين؟

إلـــونـــا: دعوني!... دعوني أذهب.

أنـــاتـــول: كوني عاقلة... اهدئي!

إلـــونـــا: ألن تدعـاني أخـرج؟ إذن... (تندفع في الغـرفـة وبغضب تلقي طقم الشاي من فوق المنضدة).

أناتول و مـاكس (في حيرة من أمرهما).

أنـــاتـــول: عندي سـؤال: هل الزواج ضـروري... إذا كـان هناك حب بهذه الدرجة!

إلـــونـــا (تلقي بنفسـها منهـارة على الأريكة، وتبكي، فترة سكون).

أنـــاتـــول: ها هي ذي بدأت تهدأ.

مـــاكس: علينا أن نذهب... وأنا دون باقة.

فـــرانس (يأتي): العربة، يا سيدي الفاضل (ينصرف).

أنـــاتـــول: العربة... العربة - ماذا عساي أن أفعل. (يتجه نحو إلونا، يقف خلفها، يضع قبلة على شعرها) إلونا!

مـــاكس (من الجـانب الآخـر): إلونا! (تواصل البكاء بصوت خافت، وتضع المنديل على وجهها).

مـــاكس (يوجه حديثه إلى أناتول): اذهب أنت، واعتمد عليّ.

أنـــاتـــول: فعلا، يجب أن أذهب - لكن كيف...

مـــاكس: اذهب...

أنـــاتـــول: هل سيمكنك إبعادها؟

مـــاكس: سـوف أهمس لك، ولعلك سـوف تسـمعني أثناء عُرسك أقول لك... كل شيء على ما يرام.

أنـــاتـــول: إنني خائف!

مـــاكس: لا عليك إلا أن تذهب.

أنـــاتـــول: آه... (يتـخـذ طريقـه، إلا أنه يعـود ويسـيـر على أطراف أصـابعـه، ويضع قـبلة هادئة على شـعـر إلونا، ثم يخرج بسرعة).

مـــاكس (يجلس أمـام إلونا، التي مـا زالت تبكي وتضع

المنديل على وجهها. ينظر في ساعته): آه، آه.

إلونا: (تنظر حولها وكأنها استيقظت من حلم): أين هو...

ماكس (يأخذ بيدها): إلونا...

إلونا: (تقف): أين هو؟

ماكس (ما زال ممسكا بيدها): لن تجديه.

إلونا: لكنني أريد...

ماكس: أنت امرأة ذات عقل يا إلونا، أنت لا تريدين الفضيحة...

إلونا: دعني.

ماكس: إلونا!

إلونا: أين عقد القران؟

ماكس: هذا أمر ثانوي.

إلونا: أريد أن أذهب، يجب أن أذهب!

ماكس: لن تفعلي هذا... ماذا أصابك!

إلونا: هذه الإهانة... هذا الخداع!

ماكس: لا هذا، ولا ذاك... إنها الحياة!

إلونا: دعك من عباراتك الطنّانة.

ماكس: ما زلتِ صغيرة يا إلونا، وإلا كنت أدركت أن كل هذا بلا طائل.

إلونا: بلا طائل؟!

ماكس: إنه تخريف...!

إلونا: تخريف؟

ماكس: ستجعلين من نفسك أضحوكة، وهذا هو كل شيء.

إلـــونـــا: ماذا... أتهينني!

مـــاكس: هوني، على نفسك!

إلـــونـــا: آه، ما أقل معرفتك بي!

مـــاكس: وماذا إن ذهب إلى أمريكا.

إلـــونـــا: ماذا تقصد؟

مـــاكس: لو افتقدته بالفعل!

إلـــونـــا: ما معنى هذا؟

مـــاكس: المهم أن لا يصيبك الخداع!

إلـــونـــا (تهم بالحديث).

مـــاكس: (مقاطعا): العودة لكِ، والهجران للآخرين!

إلـــونـــا: آه... لو تحقق هذا... (تعبيرات وجهها تدل على التنمّر والسرور).

مـــاكس: ذات روح عالية... (يصافحها).

إلـــونـــا: أريد أن أنتقم... ولذا أسعدني ما قلت.

مـــاكس: أنتِ من اللاتي «إن أحببن عضضن».

إلـــونـــا: نعم، أنا من هؤلاء.

مـــاكس: كم تبدين رائعة أمامي الآن، كواحدة تريد الانتقام منّا لجنسها بأكمله.

إلـــونـــا: نعم... هذا ما أريده...

مـــاكس (يقف): ما زال لدي وقت حتى أوصلك لمنزلك (مخاطبا نفسه) وإلا وقعت كارثة (يمد لها ذراعه) والآن ودعي هذا المكان.

إلـــونـــا: لا، لا يا عزيزي... ليس وداعا. سوف أعود.

مـــــاكس: تخيّلي الآن أنك من الجن... لكنك في الحقيقة ما زلتِ امرأة! (ردا على حركة تعبر عن عدم رضا إلونا)... أو يكفي ما قلناه... (يفتح لها الباب)... تفضلي، يا آنستي!

إلـــونـــا (بتعاظم منفعل تلتفت مرة أخرى للمكان قبل خروجها): إلى اللقاء!... (تخرج مع ماكس).

(الستار)

مكتبة
t.me/soramnqraa

المشهد الثامن:
أناتول وجنون العظمة

شخوص المشهد

- أناتول
- ماكس
- البارون ديبل
- الموسيقي فليدر
- برتا
- أنيتا

(الجانب المطل على حديقة فندق جميل، تحتل واجهته جزءا كبيرا من الخلفية، شرفة متسعة على امتداد واجهة الفندق؛ تؤدي إليها السلالم من جانبي المشهد المرتكز في الحديقة. في الخلفية، التي لا يحجب المبنى الآخر إلا جزءا منها، تظهر هضاب جميلة، بدأ الظلام يحل عليها - بينما يمتد أحد أطراف المبنى حتى الكواليس، يظهر الطرف الآخر واضحا أمام المشاهدين - حيث يمتد طريق عريض محاط بأشجار الحور، ومحاذٍ لسور الحديقة. في كل من الشرفة والحديقة تنتشر مناضد وكراسي خالية. أناتول وماكس يجلسان حول إحدى مناضد الشرفة ويدخنان).

أناتول: أتتذكر، يا عزيزي ماكس، جلستنا الأخيرة هنا؟

ماكس: كانت منذ زمن طويل، على ما أعتقد!

أناتول: نعم... كنت بالمصادفة في حاجة إلى هذا الجو العام هنا... بما فيه من بساطة ورقة... كنت في حاجة إلى هذا الطريق، وسط المزارع، المحاط بأشجار الحور... والسهول الخضراء الممتدة هناك بلونها الأخضر الدافئ... والتلال القريبة التي تختفي في ظلمة الليل.

ماكس: واليوم؟

أما اليوم فأحب هذا الأفق لذاته.

ماكس: وهذا هو حبك الأخير؟

أناتول: لا... مجرد نوع جديد من الحب، قد آن الآن أوانه، وهو حب الشيء لذاته.

ماكس: (حائرا).

أناتول: الآن أحب الطبيعة لذاتها... والهضاب لذاتها... والسيجار لذاته... وديوان الشعر الفارسي لذاته...، بينما كنت سابقا لا أحب في الأشياء إلا علاقتها بالإنسان.

ماكس: أي أن حبك لنا، نحن المساكين، قد انتهى؟

أناتول: كلا! يا صديقي، أنت بالذات ما زال حبي دائما لك.

ماكس: أتعتقد هذا! ولم يكن وجودي معك دائما سوى أقوال موجزة؟

أناتول: وإن كان ما تقول... فالأمر الآن مختلف يا صديقي. إلا أن ما أخشاه هو أن يكون من بوادر الشيخوخة. إنني صرت أهتم بشكل ملحوظ بآراء الآخرين.

ماكس: آه!

أناتول: أستطيع أن أستمع وكلي آذان صاغية...

ماكس: أهذا هو سبب بحثك عني بعد هذا الوقت

أناتول: الطويل؟

دفعتني ضرورة ملحة إلى العودة للحديث معك! وكأن لدي وصية أريد أن أوصيك بها!

مـــــاكس: ادخل في الموضوع... ما الحكاية الجديدة؟ أين مشاعرك الجياشة!

أنـــاتـــول: لا... إنها بحق النهاية... يا صديقي! لقد حقق قلبي آخر رغباته!

مـــــاكس: أيدعوك ذلك للسوداوية؟

أنـــاتـــول: كلا، كلا... بل لا أريد أن أعود للحب مرّة أخرى، لا أريد.

مـــــاكس: إلا أنك تعرف كيف تستسلم.

أنـــاتـــول: لا... لا أريد أن أفقد آخر ما وصل إليه خيالي!

مـــــاكس: وما هو؟

أنـــاتـــول: هو ألا يكون لدى المحبين الجدد ما يخشونه! وهذا ما نال مني جهدا كبيرا للحفاظ عليه.

مـــــاكس: هذا الخيال لم تحافظ عليه أبدا: ولا تعتقد هذا! فدائما ما كنت عبقريا في الغيرة!

أنـــاتـــول: قد يكون! ربما أتحدث على غير هدى... وهذا فقط ما يحضرني...! لكن هل لديك معارضة أيضا، إن قلت الآن نقيض ما قلته منذ دقيقة واحدة؟

مـــــاكس: آه، وهذا ما انتظرته!

أنـــاتـــول: في بعض الأحيان أود أن أعود للحب! أما أن كل شيء قد انتهى، يا عزيزي ماكس، فإنه ببساطة ليس صحيحا.

مـــــاكس: ألم يكل شوقك أبدا؟

أنـــاتـــول: كيف يكون هذا؟ وقد صرت أتقن فن الحصول على الكثير مما يدور حولي بمجهود قليل... نتيجة هذا يبدو لي أحيانا ماضيَّ كله كئيبا، وأحيانا أخرى عظيم الثراء...

مـــــاكس: من عاداتنا السيئة، أن نقوم بالقياس رغبة في المزيد.

أنـــاتـــول: صدقت، إنه ظلم! وبالتأكيد لا يستطيع المرء الاعتماد على الذكريات... لأنها تكذب ومتقلبة... ثم، ماذا نعرف بالفعل عن مغامراتنا؟ نحن والنساء، الشوق يسلك بنا سبلا مختلفة! فإذا بي أسأل كلا منهن: «هل لم تحبّي قبلي؟» وكل منهن تسألني: «هل لن تحب بعدي؟»... كلنا نريد دائما أن نكون الحب الأول، وهن دائما يردن أن يكنّ حبنا الأخير!

مـــــاكس: نعم... نعم!

أنـــاتـــول: الفتاة الصغيرة، أنيتا، تتصور؟... التي تجول مع عازف الكمان... رأيتها حديثا... وأقول لك، إذا بها صارت فاتنة...

مـــــاكس: ثم؟

أنـــاتـــول: يسير معها «فليدر»، الشاب اللطيف الموهوب... أما أنا فالأمر قد اختلف معي، لم أعد شابا، وبدأ الشعر يشيب.

مـــــاكس: وماذا عن أنيتا؟

أنـــاتـــول: تتدلل!

مـــــاكس: على مَنْ؟

أنـــاتـــول: عليّ... صدقني! مما يثير سخطي! ها هي ذي تسير في نزهة مع هذا الشاب، تصور؟! وتتأبط ذراعه، كأنها شابة يافعة... ذات عيون هائمة بلهاء فاجرة. ما أمر بها... إلا وتكف عيونها عن الهيام، وترتكز عليّ، وتستبدل بلاهتها بالجمال والمكر... ولا يبقى فيها مما كان سوى الفجور.

مـــــاكس: كيف أصبحت فجأة لا تحدثني إلا عن أنيتا؟

أنـــاتـــول: مجرد أنها خطرت ببالي. وأعتقد أنه من المحال أن يشعر الإنسان تجاههن باليقين! فعلمنا بالنساء يتحقق فقط عبر معرفتنا إياهن، أما إذا أحببننا... فلن نعرف كيف يحببننا... ولا كيف يمكن أن يحببن غيرنا! لذلك... فليس هناك ما يضمن أننا لن ننصهر في دموع مذابة في الرقة تأتينا بها إحداهن، وتجعلنا نشعر بالثقة فيها... وفي الوقت ذاته ربما تعبد هي رجلا آخر، كأنها صارت شخصية مختلفة تماما... تهوّر ورقة وضراوة.

مـــــاكس: ماكس: أنت تعتقد إذن، أن أنيتا تدعي العاطفة أمام «فليدر»؟

أنـــاتـــول: تدّعي؟ إنها كذلك! لكن هكذا النساء يتصورن أنهن يمثلن كوميديا، ويتصرفن مرة بوجه وأخرى بوجه آخر تماما. وفي هذه الأثناء غالبا ما لا

يظهر أثر لتلك الكوميديا. إنهن لا يكذبن ولو مرة واحدة كما نعتقد... بل إن الحقيقة ذاتها تتبدل لديهن مع مرور كل دقيقة.

ماكس: يا له من هدوء هنا! جميل فعلا!

أناتول: نعم، ومما يؤسفنا حقا، أننا ليس لدينا من يعزّينا عن هذا! ها هو ذا الليل قد حل بسكونه لنحتمل بعضا من آلامنا!

ماكس: ومَنْ استطاع أن يتحمل ولو ألما حقيقيا واحدا؟

أناتول: كيف، وقد تحملت كل الآلام! إنه أمر تافه، كثيرا ما عايشته حتى وصلت أخيرا للشك في آلامي نفسها! وكان آخرها أشدها!

ماكس: إذن فالعزاء يعود بالألم.

أناتول: لعل هذا أيضا ليس صوابا؟ فانظر كيف تستطيع أن تروّح عن نفسك بتجوال تقوم به وحدك، أو ساعة من التفكر، أو قصيدة تكتبها لتعبر عما في نفسك؟

ماكس: آه، يبدو أننا أوشكنا أن نفتقد عزلتنا... أتسمع؟

أناتول: (شاردا).

ماكس: (ينظر من فوق السور، صوت عربات): ها هم أولا ينعطفون عند الناصية، ويتجهون بسرعة نحونا، نحونا مباشرة!

أناتول: كم عدد العربات؟

ماكس: اثنتان... ثلاثة... يا إلهي، ما هذه السرعة! عربة

أخرى جاءت عند التقاطع...

أناتول: آتون إلينا؟

(صوت أقدام ووقع أقدام الخيل)

ماكس: رجال ونساء، آه، انظر! إنهم يلوحون بالمناديل!

أناتول: أتعرفهم؟

(تمر العربات في الطريق وتتوقف أمام الديكور الدال على خلفية المبنى. صوت يخرج من إحدى العربات قائلا: مساء الخير، أيها السادة!).

أناتول: مساء الخير! مَنْ إذن؟

ماكس: أحدهم هو البارون «ديبل». آه، وفي العربة الأخيرة... انظر، إنها «برتا»!

أناتول: كيف؟ أما زالت لا تحب إلا اللهو؟

ماكس: ما زالت! وعلى ما أعتقد أن هذه هي حالها منذ عشرين عاما.

أناتول: كانت آنذاك في السادسة عشرة!

ماكس: جميل ألا يستطيع المرء أن يرى المستقبل.

أناتول: لماذا؟

ماكس: لو كان أمامك هذا المشهد آنذاك! (مشيرا إلى الطريق).

أناتول: يا إلهي... ما زال من حظنا أن نرى مثل هذه المشاهد، إلا أنها ليست واضحة بدقة! هل تيقنت من النساء الأخريات؟

ماكس: ليس تماما.

أنـــاتـــول: يا لها من ضوضاء!

مـــــاكس: عموما، لن يأتوا إلينا! سيجلسون في الصالون، ولن يزعجونا بعد ذلك!

أنـــاتـــول: إنه البارون «ديبل»... ما زال يمتع نفسه!

مـــــاكس: أما زلت على اتصال به أحيانا هو ومجموعته؟

أنـــاتـــول: لا، لم يكن لي اتصال قوي بهم مطلقا. إن مثل هؤلاء يفقدونني أعصابي! تصور، لا يستطيع المرء أن يتحدث معهم إلا وهو سكران. وأنا لم أسكر يوما...

مـــــاكس: بالتأكيد هم سعداء بطريقتهم هذه!

البارون ديبل (يدخل): مساء الخير، حياكم الله! عرفتكما وأنا ما زلت في الطريق!

أنـــاتـــول: مساء النور!

مـــــاكس: مساء النور!

البارون ديبل: علينا أن نخرج من المدينة حتى نكتشفك!

أنـــاتـــول: ليس من الضروري!

البارون ديبل: أين كنت مختفيا؟ أكنت في رحلة؟

أنـــاتـــول: كنت هنا!

البارون ديبل: أي أنك أصبحت زاهدا؟

أنـــاتـــول: ما زلت زاهدا!

البارون ديبل (موجها حديثه إلى ماكس): ماذا تقول يا صديقي، ما زال! يقصد إذا إنه كان هكذا.

مـــــاكس: نعم، هذا ما فهمته!

البارون ديبل: إذن علي أن أرجوك! دعك من هذا! كنت صاحب طرب، ومزاج! وبالتأكيد ستظل هكذا دائما!

أناتول: لم أكن أبدا صاحب طرب ومزاج.

البارون ديبل: آه، وإن لم تكن هكذا، فلديك الفرصة اليوم أن تكون!

أناتول: لطيف!

البارون ديبل: إذن، أنتما معا! ستكونان معنا، مع معارفكما!

أناتول: أمر لطيف منك فعلا، لكننا أوشكنا أن نعود لمنزلنا.

البارون ديبل: تعودان لمنزليكما؟ لا تجعلا أنفسكما عرضة للسخرية! سوف تصلان لقمة اللهو معنا! انظرا من معنا! ناهيكما عن «برتا»... لأنها دائما معنا، ها هي ذي جولييت! لا بد أنكما تعرفانها؟

ماكس: الفرنسية؟

البارون ديبل: نعم، تصورا! وهو - زوجها - في رحلة حول العالم! أمر بديع لها!

ماكس: يا إلهي، النساء يخن أزواجهن حتى ولو ذهبوا فقط لإحدى ضواحي ڤيينا[١٧].

البارون ديبل: آه، جميل... عندك حق! (موجها حديثه إلى أناتول) إنه يرى أن النساء ينتهزن كل فرصة.

أناتول: نعم، نعم، فهمت ما يقصد!

البارون ديبل: لكنك لم تضحك! لا بد من أن نضحك النكتة إذن، ماذا كنت أقول... نعم، جولييت، وكذلك روزا التي صارت مترفعة بشكل مرعب. وذنبي

أنني جئت بها معنا! ألا تسألاني لماذا صارت مترفعة؟

أناتول: نعم...

البارون ديبل (موجها حديثه إلى ماكس): وأنت كذلك؟

ماكس: آه، بلى، لماذا صارت روزا مترفعة بهذا الشكل المرعب؟

البارون ديبل: ما من أحد يعلم... مجرد تكهنات: آلام الهوى ربما!

ماكس: آه.

البارون ديبل: آه، ولا شيء أكثر من هذا عنها! ثم تأتي الآنسة هانيشك - جديدة جدا - سوف نمهد لها!

ماكس: الآنسة هانيشك؟! اسم فظيع!

البارون ديبل: إنه فقط اسم الدلع حاليا، هكذا اسمها! إلا أن المصادفة ربما تجعل اسمها الأول أكثر فظاعة. لكما أن تخمنا... ها، ماذا إذن.

أناتول: كيف يستطيع المرء أن يخمن الاسم الأول؟

البارون ديبل: باربرا! وحتى الآن لم تحمل اسما آخر لساحة القتال... ربما يتم تعميدها اليوم.

ماكس (وقد أصابه الذعر): باربرا! باربرا!

البارون ديبل: آه، ما رأيكما؟ باربرا! طبعا تريدان أن تعرفا العاشقين الذين وجب عليهم استعمال هذا الاسم! وتصورا المسكين فريتس ڤالتن، رفيقها الحالي... هذا البائس الذي لم يتبادر إلى ذهنه اسم آخر لها حتى الآن!

وما زال مضطرا إلى أن يقول لها باربرا! والآن ألا تسألاني عن باقي الموجودين؟

ماكس: نعم، بكل سرور، مَنْ موجود أيضا؟

البارون ديبل: أولا قولا لي إذا كنتما تريدان أن تأتيا!

أناتول: فيما يخصني، يا عزيزي البارون، ليس لي مزاج لهذا.

البارون ديبل: كيف؟ وهل عليَّ أن أصدق أنه من الممكن ألا يكون لديك مزاج لمثل هذا؟

أناتول: وهل من غير المعقول ألا يصفو مزاج المرء في بعض الأحيان؟

البارون ديبل: آه، أنت متشبع بما شاهدت!

أناتول: ليس لدي مزاج للحوار، وتنقصني موهبتك في المرح.

البارون ديبل: كم رأيتك غاية في المرح!

أناتول: إذن أنت قد أسأت فهمي وقتها. كان لدي مرح خاص... وليس مرح الآخرين.

البارون ديبل: على المرء أن يمرح بقدر ما يستطيع.

أناتول: آه، لكنني في غنى عمّا لديكم هنا اليوم من مرح!

البارون ديبل: آه، يبدو أننا لم ننل رضاك بما في مجموعتنا من نساء...

أناتول: وهل معكم نساء على الإطلاق؟!

البارون ديبل: من يسمعك، يعتقد أنك أحببت نساء أخريات من غيرنا نحن البشر...

أناتول: بالتأكيد... لأنني أحببتهن! أم أنك تقصد حقا أنني عشت حياتي مثلهن أو مثلك؟ أتظن أننا

جميعا لنا المغامرات نفسها، لأنها متشابهة في الشكل الخارجي؟ أنت وأمثالك... يبحثون داخل كل امرأة عن بائعة الهوى... وأنا أبحث داخل كل بائعة هوى عن امرأة!

البارون ديبل: وعلى هذا فلم يتطلب مني البحث وقتا طويلا...

أناتول: وغالبا ما أخطأت!

البارون ديبل: وأنت كل مرة... صرت واحدا ممن يقدسون النساء!

أناتول: أنا لا أقدسهن!

ماكس: آه فعلا! أنت تقدس ما تبدعه فيهن. فنان مغتر بنفسه!

أناتول: لذلك لا يفهمني سوى المتخصصين!

البارون ديبل: إذن فلتمارس فنّك اليوم بيننا!

أناتول: هذا ما لا يمكن القيام به في أي وقت.

البارون ديبل: ربما تستطيع إحداهن اليوم إثارة فنّك.

ماكس: الآنسة هانيشك؟!

البارون ديبل: لا! بل شيء آخر على وجه الخصوص... فتاة شابة جميلة رائعة! معنا اليوم للمرة الأولى!

ماكس: وحدها؟

البارون ديبل: لا... بل معه... مع «فليدر»!

أناتول: مع مَنْ؟

البارون ديبل: مع رجل الأوبرا «فليدر»!

أناتول: آه، أنيتا؟

البارون ديبل: نعم. هو... يغار كالمجنون ويموت من الضحك؛

هي... ساحرة، وساذجة إلى حد ما!

أناتول: أبلغها تحياتي!

البارون ديبل: ألا يعجبك هذا أيضا؟ آه، كيف نستطيع أن نجذبك إلينا؟ قل لي يا ماكس! هل وقع صاحبنا في الحب؟ (موجها حديثه إلى ماكس) أم أنك متشوق لما هو فريد من نوعه، ولم يلمسه أحد من قبلك... إلى واحدة لا تعرف ولم تعرف شيئا حتى الآن عن الحب؟ أليس عندي حق يا ماكس؟ آه، انتظر يا أناتول! سوف نأتيك المرّة القادمة بفتاة عذراء!

أناتول: لا داعي. فأنا أدبّر عذرواتي بنفسي!

البارون ديبل: آه، وهذا ما يأتيك بالمعاناة في بعض الأحيان!

أناتول: أوليس هذا هو الطموح الوحيد في الحياة؟

ماكس: آه، الطموح الذي لا يتحقق!

أناتول: أن تنسى كل الآخرين، كأنهم لم يكونوا.

البارون ديبل: نعم، لكن تخيل لو صارت هذه المعاناة ذات مرة غير ضرورية.

ماكس: عندما لا يحتاج المرء للعفو عن أي شيء، أي شيء...

أناتول: هناك دائما ما يتطلب العفو.

ماكس: حتى ولو كان المرء هو الحب الأول؟

أناتول: نعم، ربما يجد المرء شخصا آخر كان في استطاعته أن يكون الأول! وكذلك إذا كان المرء هو الحب الأول، فربما يكون لديه في هذه

الحالة ما يحتاج منه العفو أكثر مما سواه... عن نفسه!

البارون ديبل: لن ننتهي اليوم مع صاحبنا هذا.

أناتول: لا تضعني في اعتبارك يا ماكس!

ماكس: أتريد أن تمكث هنا وحدك؟

أناتول: فترة وجيزة، ربما تجدني، عندما تعود.

ماكس: (موجها حديثه للبارون ديبل): الآن أريد أن أسير معك بعض الدقائق.

البارون ديبل: إذن، إلى اللقاء، يا أيها السوداوي، أناتول!

أناتول: إلى اللقاء! (البارون ديبل وماكس ينصرفان).

أناتول: (يشعل سيجارا، يحدق في الغسق من فوق السور، ثم يأخذ قبعته وعصاه استعدادا للخروج، الباب ينفتح وتخرج أنيتا إلى الشرفة).

أنيتا: السيد أناتول!

أناتول: (مندهشاً).

أنيتا: آه، أكنت تريد الذهاب؟

أناتول: أهي الآنسة أنيتا؟

أنيتا: نعم، إنها الآنسة أنيتا! وقد بعثوا بها إليك.

أناتول: أنتِ هنا إذن مع هؤلاء الناس؟

أنيتا: نعم، ألم يخبرك البارون بذلك!

أناتول: أجل، أجل...

أنيتا: ولماذا أنت حزين هكذا؟

أناتول: حزين؟

أنيتا: لماذا لا تريد أن تكون معنا؟ مجموعة جميلة! وإن جئت معنا سوف يزداد جمالها!

أناتول: في الحقيقة لا أستطيع أن أفهم ما جاء بك هنا!

أنيتا: كيف؟

أناتول: لا أفهم كيف يستطيع المرء أن يأتي مع حبيبته ويختلط بهؤلاء... لا، لا، لنقل كيف يستطيع المرء عموما أن يندس بين مثل هؤلاء الناس...

أنيتا: كيف... إنك لا تدرك هذا؟ شأنك شأنه تماما!

أناتول: كيف؟

أنيتا: هو أيضا لا يدرك هذا. لعلك لا تصدق كم يكره أن يكون معي لدى الآخرين!

أناتول: آه!

أنيتا: يريد دائما أن يكون وحده معي...

أناتول: أمر بدهي!

أنيتا: آه، أتعلم، أحيانا يسعدني أن أتمشى معه، لأنني أحب الطبيعة.

أناتول: هكذا!

أنيتا: جدا!

أناتول: لكن أي جماعات من الناس تحبينها؟ الجماعات المرحة، حيث الغناء والرقص!

أنيتا: آه، نعم... هذا ما أحبه.

أناتول: وهو يعلم هذا؟

أنيتا: لا بد من أن يعلم.

أنـــاتـــول: أتقولين هذا له؟

أنيـــتـــا: وماذا أقول له؟

أنـــاتـــول: مـثـلا: «كم أحـبك يـا صـديقي، إلا أن الوحـدة تقبضني... وأنا أحب أن أكون مرحة».

أنيـــتـــا: آه، لك أن تتصور، لو قلت له هذا مباشرة، سوف ينزعج... إنه يغير من كل شيء! أحيانا لا يجوز لي أن أضحك!

أنـــاتـــول: إذا فاضحكي الآن، حيث لا يستطيع أن يسمعك.

أنيـــتـــا: نعم... لكن ليس عندي مزاج للضحك الآن.

أنـــاتـــول: هكذا!

أنيـــتـــا: وإن أردت، لا يسمح لي! ذات مرة أخيرا...

أنـــاتـــول: ماذا أوقفكِ عن الكلام الآن؟

أنيـــتـــا: بقيت طويلاً معك، وسوف ينفد صبره...

أنـــاتـــول: هيّـا، احكي لي (يجـذبهـا نحـوه عند المنضـدة يمسك يدها، فتنظر هي إليه، ثم تبتسم بدلال) هل من جديد؟

أنيـــتـــا: أخيرا أردت ذات مرة... دون أن أستأذن... فإذا بكلامه الطويل المضحك... حتى سالت دموعه...

أنـــاتـــول: ثم؟

أنيـــتـــا: لكن تصوّر رجلا يبكي. عليه ألا يعود لهذا مرّة أخرى.

أنـــاتـــول: وهل قلت له ذلك؟

أنيـــتـــا: لا، كتمت ضحكي بقدر ما استطعت.

أنـــاتـــول: صغيرتي!

أنيتا: (تتدلل): هل تعجبك يدي لهذه الدرجة؟

أناتول: بالتأكيد أنت لا تحبينه بحرارة... بالحرارة التي يريد أن ينال الحب بها... هذا ما كان عليك أن توضيحه له.

أنيتا: قَبّل يدي!

أناتول: لماذا إذن...؟

أنيتا: إذن فاتركها...

أناتول: (يقبّل يدها، أنيتا تضحك بهدوء، فترة سكوت قصيرة) نعم، عليك أن تقولي له...

أنيتا: ماذا...؟

أناتول: إن ما يطلبه منك ليس حبا، وإنك لا تستطيعين أن تحبيه هكذا...

أنيتا: وإن صار تعيسا؟

أناتول: حسنا!

أنيتا: إنني أحبه... لكنني لا أريد إثارة الدموع، لا، لا، لا إثارة للدموع! (تقفز واقفة) لا... إنني نسيت لماذا جئت هنا! آه عليك أن تأتي معي!

أناتول: يا صغيرتي، كم يسعدني أن أتسامر معك وحدك.

أنيتا: هناك أيضا يمكننا أن نتسامر وحدنا.

أناتول: آه، وما الذي سيقوله عندئذ؟

أنيتا: سوف نتحدث بهدوء.

أناتول: الاحتمال ضعيف أن يهدئه هذا...

أنيتا: هيا بنا إليهم!

أنـــاتـــول: يا له من حنان يبدو في عينيك وأنت ترجين...

أنيـــتـــا: أليس كذلك، ولا يستطيع أحد أن يقاومني؟

أنـــاتـــول: وربما يستطيع؟

أنيـــتـــا (رافعة يديها): هيّا بنا!

أنـــاتـــول: لكن، يا صغيرتي!

أنيـــتـــا (تركع أمامه فجأة): تعال، يا أناتول!

أنـــاتـــول: ماذا دهاك؟

أنيـــتـــا: أليس لنا أن نمثّل بعضا من الكوميديا!

أنـــاتـــول: جميل، مجرد أن تعرفي.

أنيـــتـــا: وماذا لو هي حقيقة؟

أنـــاتـــول: أرجوك انهضي!

أنيـــتـــا (تنهض): سآخذك معي إليهم... وسوف تجلس إلى جواري... و...

أنـــاتـــول: ألاحظ شيئا! أنت تريدين اتخاذي كوسيلة لإثارة غيرته...

أنيـــتـــا: ولماذا إذن؟ ألا تعتقد أنك تعجبني؟

أنـــاتـــول: ألا ترين أن دلالك قد زاد، يا أنيتا!

أنيـــتـــا: أنت تقول هذا، لأنك لا تصدقني (تأخذ وردة من على صدرها، وتقبلها وتهديها لأناتول.) أهذا أيضا دلال؟

(في هذه اللحظة يظهر كل من البارون ديبل وفليدر وبرتا).

البارون ديبل: ما الأمر يا أنيتا؟ أردنا أن نكسب واحدا إلينا،

ففقدنا واحدة منا!

أنيتا: يبدو أنه لا فائدة.

فليدر: يبدو أنك لم تقومي بكل محاولاتك؟

أناتول: السيد فليدر! آه... برتا!

برتا: نعم، هأنذا وأرجوك أن تأتي إلينا! أم سترفض رجائي؟

أناتول: كل هذا، كل هذا الكرم!

برتا: فعلا... ما الحب إلا للحبيب الأول!

أناتول: إنني أت... إنني أت... لا أستطيع المقاومة!

برتا: أتريد أن تتأبط ذراعي؟ (يسبقهما الآخرون)

أناتول: لحظة واحدة، يا برتا! لا بد من أن أسألك!

برتا: نعم... ما عندك، يا صديقي القديم أناتول؟

أناتول: منذ متى لم أقابلك؟!

برتا: أما زلت تعرف؟

أناتول: المرة الأخيرة كانت قبل سنوات وسنوات.

برتا: لكن، ماذا يخطر الآن في بالك!

أناتول: نعم... تقابلنا بلا ريب... وتحدثنا... نعم، نعم... لكن هل كنا حقا معا؟

برتا: ماذا؟

أناتول: ها نحن أولاء تحدثنا اليوم كأصدقاء أحِمّاء، الذين تجاهل بعضهم البعض طوال عمرهم... وقد تلاشى عن ذاكرتنا كل ما كنا فيه...

برتا: آه، أنا ما زلت أذكره جيدا.

أنـــاتـــول: أما زلت تذكرين؟

بـــرتـــا: لكنني، أيها الماجن الصغير، لم أنس أحدا قط!

أنـــاتـــول: كم كنا شبابا، كم كنا شبابا وقتها! ولست أدري كيف يحدث هذا... اليوم كأنني أراك للمرة الأولى بعد قبلتنا الأخيرة!... وهذا الوقت الطويل بينهما... ماذا جرى لك فيه؟

بـــرتـــا: آه، معي كان كل شيء على ما يرام.

أنـــاتـــول: طبعا كم وجدتك هنا وهناك... دون أن أعلم شيئا عن أحوالك؟ أتعرفين، كل مرة رأيتك فيها، لم يخطر ببالي... أنني نلت حبك في يوم ما!

بـــرتـــا: مدح شديد!

أنـــاتـــول: جميل أن يكون هكذا... لأنك كنت بحق معبودتي.

بـــرتـــا: آه، أعرف، أعرف!

أنـــاتـــول: هذا الوقت البعيد، هل ظهر فجأة أمامك واضحا؟

بـــرتـــا: آه، ما زلت أذكر كل شيء...

أنـــاتـــول: آه!

بـــرتـــا: مثلا... انتظر!... كنت تمر مرور الحبيب على شباكي!

أنـــاتـــول: آه، أما زلت تذكرين؟

بـــرتـــا: نعم، كان هذا أمرا مضحكا!

أنـــاتـــول: ها... آنذاك كنت ترين بعض الأمور مضحكة.

بـــرتـــا: إللا أنك كنت ظريفا جدا!

أنـــاتـــول: آه، ثم ماذا! نحن نريد الآن أن نتحدث عن كل شيء!

بـــرتـــا: كل شيء...؟

أنـــاتـــول: نعم، كل شيء! لدي أسئلة كثيرة!

بـــرتـــا: آه، أنا لا أفهمك... اليوم يخطر كل هذا على باك؟

أنـــاتـــول: لقد قلت لك: أعود وأراك اليوم وكأن فراقنا كان دون أي اتفاق... كانت في عينيك ألغاز كثيرة... وبسمتك كانت غريبة... ثم...

بـــرتـــا: ثم ماذا؟

أنـــاتـــول: كان من السهل إرضاؤك...

بـــرتـــا: نعم...

أنـــاتـــول: كيف؟

بـــرتـــا: وأنت أيضا! أرجوك... كلانا كان يعرف أن كل شيء لا بد من أن ينتهي.

أنـــاتـــول: كنتِ تعرفين؟

بـــرتـــا: وما ظنك إذن؟ ألم نكن نصدق ما تقولونه لنا أيها الرجال بصرف النظر عن أنكم قلتموه لأخريات قبلنا؟

أنـــاتـــول: هذا كان في الماضي... في الماضي، حيث كنت صغيرة.

بـــرتـــا: يا إلهي، دائما كنت ذكية.

أنـــاتـــول: وعندما تعاهدنا على الحب الخالد... هل كنتِ تعرفين وقتها حقيقة الأمر؟

بـــرتـــا: نعم - وأنت؟ ربما كنت تريد أن تتزوجني؟

أنـــاتـــول: إلا أن كل منا كان يعبد الآخر!

بـــرتـــا: نعم... لكن هذا لم يجعل أحدنا يفقد عقله...!

أنـــاتـــول: نعم، نعم...

بـــرتـــا: هل تدخل الآن؟

أنـــاتـــول: أرجوك... هنا أجمل... حيث نسمات الليل الهادئة...

بـــرتـــا: آه، أما زلت تملك تلك القدرة؟

أنـــاتـــول: على ماذا؟

بـــرتـــا: على أن تكون شاعرا.

أنـــاتـــول: لمجرد أنني وجدت نسمات الليل هادئة؟

بـــرتـــا: ألا ترى، كيف أنني أعرف كل شيء... أحيانا كنت تأتني بالقصائد...

أنـــاتـــول: آه... لم أعد أفكر في هذا!

بـــرتـــا: إحدى القصائد قرأتها ذات مرة أنا وفلورا... أتتذكر فلورا الشقراء؟ (تضحك)

أنـــاتـــول: ولماذا تضحكين؟

بـــرتـــا: لقد ألقتها... تصور... بطريقة منبرية رهيبة، قلدت فيها تعبيرات عينيك...

أنـــاتـــول: عيناي؟

بـــرتـــا: عيون المها المعبّرة!

أنـــاتـــول: هكذا... أعبر بعيون المها؟

بـــرتـــا: فيها... يستطيع المرء أن يقرأ كل شيء!

أنـــاتـــول: والغيرة أيضا؟

بـــرتـــا: ولماذا سؤالك هذا؟

أنـــاتـــول: آه... جئتي بالمصادفة تلك الليلة التي زرنا فيها المسرح معا...

بـــرتـــا: كم زرنا المسرح!

أنـــاتـــول: جئتني تلك الليلة التي شاهدنا فيها أوبريت... وجلس بجوارنا رجل أنيق ذو لحية بيضاء، كان يحملق فيك...

بـــرتـــا: ماذا؟

أنـــاتـــول: كان يحملق فيك كأنه يعرفك.

بـــرتـــا: آه، هذا الفرنسي... الضخم.

أنـــاتـــول: نعم، نعم، فرنسي! أكنت تعرفينه؟

بـــرتـــا: نعم... لا!

أنـــاتـــول: لكنك لم تخبريني بهذا وقتئذ!

بـــرتـــا: آه، نعم، وقتئذ، حيث سيطرت عليك الغيرة!

أنـــاتـــول: نعم، لأنه كان يحملق فيك باستمرار!

بـــرتـــا: وماذا كان في استطاعتي حيال ذلك؟

أنـــاتـــول: كيف عرفته؟

بـــرتـــا: لدي ما أريد أن أعرفه الآن؟ ماذا تريد مني؟ اعتقدت أنني قابلت اليوم صديقا قديما، وإذا به يعود لقسوة العاشقين!

أنـــاتـــول: من الأفضل أن تجيبي عن سؤالي. إنني أستطيع أن أتذكر هذه الليلة بكل دقة... وأعرف كيف أردت أن تهدئيني فيها! ما زالت كلماتك في أذني!

بـــرتـــا: الكلمات؟

أنـــاتـــول: ونظرتك لي حين قلت: آه، أتغار الآن حتى من هذا العجوز!

برتا (تضحك): لم يكن عجوزا!

أناتول: إذن فقد كذبت، ببساطة كذبت عليّ وقتها؟

برتا (بغضب): كنت مضطرة، مضطرة!

أناتول: ...؟

برتا: أنتم تستدرجوننا، وتدفعوننا للكذب!

أناتول: دائما مارجوتك ألا تقولي إلا الحقيقة!

برتا: نعم، هذا ما قلته أنت لي بلسانك، أما عيناك فقالتا شيئا آخر!

أناتول: وماذا قالت عيناي؟

برتا: قالت: «اكذبي عليّ... اكذبي عليّ!».

أناتول: تخريف!

برتا: أترى، كيف أن لي حقا؟ وسوف تشكرني لو فعلتها مرة أخرى اليوم؟

أناتول: إذن كنتِ تعرفين هذا الفرنسي؟

برتا: وأنت لاحظت هذا.

أناتول: وإن كنت قلت لك: «أنت لعوب» كنتِ ستتطاولين عليّ!

برتا: لا يمكن الاعتراف لشخص مثلك بأي شيء.

أناتول: لأنني كم قسوت عليكِ؟

برتا: نعم فعلتها، لكنني لم أكترث!

أناتول: ووجهك الجاد ودموعك كلما عاتبتك؟

برتا: آه أكنت أبكي؟

أناتول: الدموع التي لا يذكرها صاحبها، لا يمكن أن تكون حقيقية!

برتا: ما عرفته فيك، هو أنك ما كنت ترق، إلاّ إذا كنت أنا حزينة.

أناتول: ولذلك...

برتا: وهل هذه أيضا إساءة مني، إنني كنت أريد أن أجعلك رقيقا؟

أناتول: إذن كنت كل هذا... لعوب ومخادعة وممثلة؟

برتا: وهذا ما قلته أنت لي ألف مرة آنذاك!

أناتول: نعم، لأنني لم أصدق!

برتا: لكن، يا حبيبي، كل هذا كان جميلا آنذاك... ولذلك طاب لي أن أتغاضى عن مللك!

أناتول: كيف؟ أكنت أيضا مملا؟

برتا: نعم، أتعرف... كانت هناك أوقات... يأتيك فيها هذا المزاج! فتمعن فكرك في حكايات قديمة الأزل... وتضطر إلى أن ترويها مئات المرات... وأحيانا كان ينتابك الجنون وتغيرها بأكملها.

أناتول: هكذا...!

برتا: آه، وأحيانا تكون جميلة جدا، آه، وشاعرية جدا...

أناتول: لكن غالبا مملة ومضحكة!

برتا: كنت أعرف دائما كل ما تقصد... حتى إن كان جنونا.

أناتول: إذن هذه النظرات المتميزة الحالمة، التي أعطتني شعورا بالقبول الجميل الشارد، كانت لا شيء... سوى استغراب؟

برتا: ومازال حديثك دائما كما هو...

أنـــاتـــول: ... استغراب دائم ومستهتر وأبله...

بـــرتـــا: دائما ما أقول إنني لا أفهمك!

أنـــاتـــول: ولم أعتقد قط أنك ستفهمينني!

بـــرتـــا: لقد فهمتك جيدا! لكنكم أيها الرجال تتفاخرون بأن أحدا لا يستطيع فهمكم... (البارون ديبل وماكس يدخلان)

البارون ديبل: بدأ المرح هناك! موضوعنا الآن هو تعميد الآنسة هانيشك!

بـــرتـــا: آه، يجب أن أذهب إليهم، انتقيت اسما جذابا لها...

أنـــاتـــول: لحظة واحدة، يابرتا!

بـــرتـــا: آه، بسرعة، بسرعة!

أنـــاتـــول: اذهبي إذن!

بـــرتـــا: مهرج! (تخرج مع البارون ديبل)

مـــاكس: ماذا كنت تريد؟

أنـــاتـــول: أطرح عليها سؤالا أخيرا، بالتأكيد كانت ستجيبني عنه اليوم.

مـــاكس: وعمَّ تحدثتما؟

أنـــاتـــول: تتصور، جاءني الميل فجأة أن أجعل برتا تحكي لي قصة حبنا! فقد كانت آنذاك ساخرة مني، ولعوبا مع الآخرين، ونادرا ما فهمتني، ويبدو أيضا أنها كانت تخدعني...

مـــاكس: ثم ماذا مع هذه المخلوقة...

أنـــاتـــول: كل ما كانت تتظاهر به آنذاك! كان يمكن

الشعور به؟ أي قدرة على الخداع! كانت لديها آنذاك... آه، بل قبل هذا... قبل أن تنال القبلة الأولى من رجل ما! قدرة نالتها بالمصادفة! حتى أصبح لا يجوز لحبيبها الأول أن يفخر بها أكثر من الأخير!

مـــاكس: والآن... أتريد أن نذهب؟

أنـــاتـــول: هل كانت ستقول الحقيقة الآن؟ صور الذكريات تغـيـرت لدى هذه المرأة مع مـرور الوقت، ثم تداخلت وتزيّفت! ربما فهمتني فعلا وقتها، ولم تعد تعرف هذا الآن!

مـــاكس: لكن قل لي، أي مُـفكر أنت! من أجل هذه المرأة، التي نسيتها منذ عشرين عاما، تعود الآن وتغتم من جديد؟

أنـــاتـــول: غباء... ومرض! لقد صار تهوري مثيرا للشجون. أعـود لكل ذكـرياتي أينمـا كنت... وفي بعض الأحيان ألقي بها جانبا...

مـــاكس: كأنها زكيبة لؤلؤ...

أنـــاتـــول: وكل لآلئها زائفة!

مـــاكس: لكن ماذا إن كانت إحداهن حقيقية؟

أنـــاتـــول: وبما تتـميـز تلك اللؤلؤة؟ سوف تلقي الشك شأنها شأن الأخريات! ومَنْ يعلم ربما أحببت امرأة، كانت تفهمني وكان من حقها أن تنال السعادة معي... إلا أنني لم أجرؤ على هذا... هل ستأتي معي؟

(ينزلان السلّم معا).

أنيـــتـــا (تدخل بسرعة وتنظر حولها)

فلـيـــدر (يتبعها): إلى أين، إلى أين؟

أنيـــتـــا: أتعود مرة أخرى؟

فلـيـــدر: إنني أعرف، ماذا جاء بكِ هنا مرّة أخرى!

أنيـــتـــا: أن أكون معك وحدنا!

فلـيـــدر: معي؟

أنيـــتـــا: لقد عرفت أنك تتبعني!

فلـيـــدر: هكذا؟

أنيـــتـــا: ضايقني أنك تركتني وقتا طويلا وحدي! وإن لم تكن قد تبعتني الآن، ما كنت استطعت أن أصدّق أنك مازلت تحبني.

فلـيـــدر: وهل تيقنتِ الآن؟

أنيـــتـــا: طبعا يا حبيبي!

فلـيـــدر: أريد أن أقول لك شيئا، يا حبيبتي، فلنذهب!

أنيـــتـــا: ماذا...؟

فلـيـــدر: لا نعـود لهـؤلاء البـشـر هناك... لنذهب... وحدنا... إلى بيتك.

أنيـــتـــا: لكن الآن؟ (شاردة) انظر، ها هو ذا...

فلـيـــدر (بغضب): مَنْ؟

أنيـــتـــا: أناتول... وماكس!

فلـيـــدر: إلامَ تنظرين؟ ماذا يهمك في هذا؟

أنيـــتـــا: ألا يجوز لي أن ألحظ أي شيء!

فليـــــــدر: في الوقت الذي أعبر لكِ فيه عن حبي! وهذا الرجل بالذات أردتِ أن تلحظيه!

أنيـــتـــا: أتعود في النهاية للغيرة؟

فليـــــــدر (غاضبا).

يا ملاكي الصغير... أتغار من هذا العجوز!

(الستار)

الهوامش

(١) انظر الجسر الذهبي: مختارات من الأدب النمساوي المعاصر في القصة والشعر، إعداد وتقديم أدولف أوبل، ترجمة وتقديم مصطفى ماهر، مؤلفات المكتب الثقافي النمساوي بالقاهرة، الجزء السادس، ١٩٩٤.

(٢) انظر

Barbara Baumann / Brigitte Oberle:

Deutsche Literatur in Epochen. Max Hueber Verlag, München 1996.

(٣). (المراجع) A. D. Klarmann: Die Weise von "Anatol"(in Forum 1962, s. 236- 265)

(٤) الوسيط: شخص يُزعَم أنه صلة وصل بين العالم الأرضي وعالم الأرواح (في التنويم المغناطيسي) (المراجع).

(٥) لم يرد في النص نوع هذه الروائح، بل مجرد أسمائها في السوق، وهي: «عشب البتشول»، و«قبرص»، و«الجوكي» (المراجع).

(٦) هرنالس Hernals إحدى ضواحي شمال غرب فيينا، ومعروف باسم «منطقة هرنالس Hernals Cürt، ويصل شرقها بغربها شارع رئيسي يحمل الاسم نفسه Hernals HauptstraBe (المراجع).

(٧) الغانية: هي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة، انظر المعجم الوسيط (المراجع).

(٨) المقصود هو الرسام هانز ماركات (١٨٤٠ - ١٨٨٤)، الذي تمثل لوحاته أهم إنتاج عصر الباروك في النمسا (المراجع).

(٩) المِقَصّة: أداة لعفص الشعر وتمويجه بالكي (بالألمانية Brenneisen، وبالإنجليزية Curling-iron) (المراجع).

(١٠) الكَدْريل: رقصة لأربعة أزواج من الراقصين، بدأت في القرن الثامن عشر واستمرت في القرن العشرين (المراجع).

(١١) هي المدينة الروسية سانكت بطرسبورج Sankt Petersburg، التي أسسها بطرس الأكبر عام ١٧٠٣، وظلت حتى عام ١٩١٧ مقرا للقيصر الروسي. تغيّر اسم هذه المدينة أولا عام ١٩١٤، حيث أصبحت «بتروجراد Petrograd»، وأخيرا عام ١٩٢٤ فصارت لينينجراد Leningrad ليرجع اسمها كما كان من قبل (المراجع).

(١٢) للإيقاع الموسيقي ثلاثة أنواع مختلفة، هم: ٤/٣ و٤/٤ و٨/٦، أولها أكثرها تغيرا وآخرها أكثرها نمطية (المراجع).

(١٣) يحمل هذا الفندق اسما يذكرنا بالأديب الألماني ليوبولد فون زاخر - ماسوخ Leopold von Sacher-Masoch (١٨٣٦ - ١٨٩٥) الذي ارتكزت موضوعات أعماله على الأمراض الجنسية، وخاصة مرض «الماسوخية» Masochismus الذي حمل اسمه، وهو انحراف جنسي يتلذذ فيه المرء بالتعذيب الذي ينزله به رفيقه، على العكس من السادية Sadismus، التي تجعل المرء يتلذذ بإنزال صنوف العذاب بمحبوبه. ونذكر من أعماله: «نساء متوحشات» «Grausame Frauen» (المراجع).

(١٤) ورد في النص اسم أرخص أنواع النبيذ وقتها، وهو Makersdorfer (المراجع).

(١٥) هذان نوعان من المحار، وهي القواقع التي تؤكل، وتنتمي إلى الرخويات البحرية في المناطق المعتدلة والدافئة (المراجع).

(١٦) الكرنڤال هو عيد المرْفَع الذي يتقدم الصوم عند المسيحيين (المراجع).

(١٧) براتر Prater، حديقة عامة كبيرة في ڤيينا (المراجع).

(١٨) تريستا Triest(e): ميناء على البحر المتوسط شمال غرب إيطاليا بالقرب من البندقية (المراجع).

(١٩) المقصود هو إبريق الشاي الروسي المعروف باسم السَّماوَر (samovar = Samowar) (المراجع).

(٢٠) الرُّوم: شراب شديد الإسكار، يُستخرج من تخمير عصارة قصب السكر وتقطيرها (المراجع).

(٢١) بوهيميا (Cesky = Bohemia = Böhmen): جمهورية في أوروبا الوسطى بين موراڤيا وبولونيا وألمانيا والنمسا. عاصمتها براج، كانت تؤلف مع موراڤيا جزءا من تشيكوسلوڤاكيا حتى ١٩٩٣، هذه المنطقة تتحدث اللغة البوهيمية، وتسكنها جماعة من الكتّاب والفنانين يعيشون ما يُسمَّى حياة بوهيمية، تلك الحياة التي لا تقيم وزنا للأعراف أو القواعد الاجتماعية، والتسمية كما هو ملاحظ نسبة إلى المكان (المراجع).

(٢٢) الضاحية المذكورة تقع في شمال ڤيينا، وهي ڤيدلينج Weidling(au).

مكتبة
t.me/soramnqraa

المؤلف في سطور

أرتور شنيتسلر

- أبصر النور أول مرة عام ١٨٦٢ في مدينة ڤيينا بالنمسا.
- حصل على الثانوية العامة ١٨٧٩، والتحق بكلية الطب في جامعة ڤيينا، وتخرج فيها طبيبا عام ١٨٨٥، ليمارس هذه المهنة فترة من الزمن.
- بدأ حياته الأدبية منذ طفولته، حيث كتب عدة قصص وروايات، ونشر أول أعماله الأدبية في صحيفة ألمانية، وهو عبارة عن مقالة وقصيدة.
- ومن أعماله «الملازم جوستل»، «ببغاء الكاكادو الأخضر»، «عند فورشتل الكبير» و«الأستاذ برنهاردي».
- أغمض إغماضته الأخيرة سنة ١٩٣١.

المترجم في سطور

د. محمد إبراهيم الأتاسي

- ولد بمدينة حمص في الجمهورية العربية السورية.
- درس الثانوية العامة في سوريا، ثم سافر إلى ڤيينا بالنمسا ليدرس الطب حتى عام ١٩٧٣، وتخصص في مجال الأمراض النفسية والعصبية في كل من النمسا وما كان يعرف بألمانيا الغربية.
- زاول مهنة الطب في تخصصه في النمسا وألمانيا والمملكة العربية السعودية وعاد في نهاية عام ١٩٩٥ إلى النمسا.
- ترجم من العربية إلى الألمانية كتاب «يوميات مصري في أوروبا» فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهو قيد الطبع. وترجم كتابا عن التطورات السياسية في سوريا في الأربعينيات وحتى نهاية عهد أديب الشيشكلي.

المراجع في سطور

د. محسن الدمرداش

- من جمهورية مصر العربية.
- يعمل أستاذا بكلية الألسن بجامعة عين شمس، حيث يدرس اللغة الألمانية وآدابها.
- له مساهمات عديدة في تعريف العالم العربي بأدباء البلاد الناطقة بالألمانية.
- من ترجماته «في الشرفة» لفرانس كافكا، «آرتو يضايق كل الناس» لإيرش كستنر، «ملاحظات على موت فرجيل» لهرمان بروخ، «العسر» لجونتر جراس.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أناتول وجنون العظمة

تقدم سلسلة «إبداعات عالمية» لقرائها، ضمن هذا العدد، مسرحية من روائع الأدب النمساوي «أناتول وجنون العظمة»، لمؤلفها أرتور شنيتسلر، الذي يعتبر من رواد الحداثة، الذين خرجوا من قوقعة ما كان يعرف بالأدب الواقعي لمواكبة ما هو جديد.

بل إن شنيتسلر استطاع أيضا أن يبرز من خلال مسرحيته ذات الفصل الواحد «سؤال إلى القدر»، واستخدم كلمة «اللاشعور» قبل أن يوردها عالم النفس المعروف سيجموند فرويد في كتابه «تفسيرالأحلام». كتب فرويد في إحدى رسائله التي كان يبعث بها إلى أرتور شنيتسلر يقول له فيها: «اعتناقك لحقائق اللاشعور والطبيعة الغريزية للإنسان، وتحليلك لصنوف الاطمئنان الثقافي التقليدي، والتصاق أفكارك بثنائية الحب والموت، كل هذا يمسني بألفة هائلة...».

أما بالنسبة لمسرحيته «أناتول وجنون العظمة» فهي سلسلة مسرحية تضم ثماني حلقات أو مسرحيات ذات مشهد واحد، مترابطة فيما بينها. جميع هذه الحلقات أو المسرحيات تعرض حوارا بين أناتول - وهو شخصية أنانية ذات أهواء مضطربة - الذي يروي قصص حبه للنساء على مسامع صديقه ماكس، الذي لا يعدو كونه مستمعا، أو أنه موجود لوضع النقاط على الحروف، مما يعطي الانطباع بأن الحوار في هذه السلسلة المسرحية ليس سوى مونولوج. وهذا النوع من الحوار كان شائعا في أوساط معينة من المجتمع في فيينا آنذاك، ويرمي المؤلف بعرضه إلى ما هو أبعد من الاستهزاء بالنمط المتدني من الحياة لدى تلك الأوساط، فهو ينتقد أفكارا معينة موجودة لدى شريحة أكبر من الناس.

وبهذا يكون أرتور شنيتسلر قد تمكن من تحقيق عمل جديد في عالم الأدب، إذ أرسى قواعد جديدة في الكتابة المسرحية، كالتجسيم الأدبي لتيار الوعي والمسرح ذي المستويين، سابقا بيراندييللو بعقدين من الزمان، كما نجد بجانب التحليل النفسي، بدايات مسرح العبث واللامعقول والمسرح الاحتفالي.

ردمك ٨ - ٠٩٨ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906- 0 - 098 - 8